الباب الثالث

كيف نعيش العصر؟

المنهج العلمي
الإدارة الحديثة
العمل الجماعي
فن المعلومات
الإتصال والإعلام
الثقافة العامة
المشكلة الاقتصادية
القضية الطائفية
التراث والمستقبل
البناء الثقافي للشخصية
الأساس اللاهوتي للأنشطة
اسلوب التعليم المؤثر
التعليم والتربية الكنسية
الفلسفة العامة للبرامج

خلصنا إلى أن روح العصر هي العلم ، ولقد تبلورت معطيات العصر في أربعة اتجاهات أدرك الشرق والغرب أهميتها ونفعها الحقيقي لحياتهم هي :

البحث العلمي

الإدارة العلمية

فن المعلومات

علم الإتصال

وقبل الدخول في التفاصيل فليكن واضحاً أن هذه الوسائل قد اثبت نفعها للناس ، فلا بديل عن توظيفها في خدمتهم ، ولكن الوسائل ذاتها ليست بديلاً عن روح الخدمة الباذلة ، والمحبة المخلصة التي تتقدم بسرور لحمل الصليب من أجل العالم .

أكرر فأقول أن استيعابنا واستخدامنا للعلم ومعطياته ، هو وسيلة لتقديم الحب إلى الآخرين والسعي إلى خيرهم ونموهم ، هو وسيلة ستفقد معناها ومحتواها لو لم يتوافر هذا الحب اصلاً ، ولو لم يكسر الخادم- بعمل الرب- الأنانية المتمركزة حول ذاته.. فالخدمة المسيحية صليب .. صليب يحمل الفرح والسرور .. ولكنه صليب!!.. صليباً كانت في أيام المسيح ، وصليباً بقيت في زمن الشهداء ، وصليباً ستظل في عصر الانترنت والهندسة الوراثية .

١٨- البحث العلمي

ليس مجرد كلام أن نقول أن الكنيسة القبطية الأرثوذكسية من أكثر الكنائس اهتماماً بالكتاب المقدس . فكل ممارسات وخدمات الكنيسة تتخللها قراءات عديدة من الكتاب المقدس ، حتى أننا نكاد نقرأ الكتاب كله علي مدار العام . وتحرص الكنيسة علي توضيح أهمية الإنجيل حتى أن الأب الكاهن يعطي البخور للإنجيل أثناء القداس.

وبالمثل تؤكد كنيستنا بأنها كنيسة الآباء ، فنحن نسير علي درب الآباء ، ونتعلم من اختباراتهم وجهادهم في الحياة الروحية ، وندرس صياغاتهم اللاهوتية لحقائق الأيمان ، وننشد تفاسيرهم للكتاب المقدس ، فضلا عن اهتمام الكنيسة الشديد بتجسيد هذا في طقوسها حتى أن أغلب قراءات القداسات (عدا أيام الآحاد) تتحدد تبعاً للمناسبة

الآبائية (انتقال شهيد أو نياحة القديس) ، ناهيك عن التكريم العظيم الذي يظهر في أعياد الشهداء والقديسين ، والمدائح التي تصاغ وتردد في تلك المناسبات والمجمع الذي يحتل مكاناً واضحاً في القداس وفي التسبحة اليومية.

ولكن بقدر ما نتحدث عن مكانة الكتاب المقدس في كنيستنا، بقدر ما نهمل البحث في هذا الكتاب ، وكم يحزن الدارس حين يتلفت في المكتبة الأرثوذكسية فلا يجد فهرساً أو قاموساً أو دائرة معارف أو أطلساً أو تفسيراً كاملاً للكتاب المقدس . صحيح أنه توجد بعض المحاولات ، ولكن أين الجهد الجماعي المنظم وأين تشجيع الناس علي البحث ، وكم قبطي في مصر علي دراية باللغات الأصلية للكتاب ؟! . ويضطر الباحث اضطراراً إلى التقليب في مجموعات للتفسير، يختلف مستوي جودتها وأمانتها العلمية حسب مدى حياد أو انحياز كاتبيها لمواقفهم الفكرية أو العقائدية .

لقد انشيء منذ سنوات معهد للكتاب المقدس ، يكاد ينطبق عليه قول اشعياء النبي "لولا أن أبقي لنا الرب بقية صغيرة... أش ١: ٩ " والمقصود أن يكون معهداً علي مستوي الدراسات العليا ، أي أنه أساساً معهدٌ للبحث ، ننتظر منه إنتاجاً من الدراسات الكتابية ، فهو شمعة نرجو لنورها أن يتسع ليزيح أكداساً من الظلام تكاد تطبق علي أنفاسنا .

ونفس الكلام يمكن أن يقال عن كتابات الآباء ، التي اهتم العالم بها وجمعها وترجمها وبوبها وفهرسها ، وفي كل هذا نحن لم نبذل بعد الجهد المطلوب !

أليس من المحزن أننا إذا أردنا أن ندرس شيئاً لآباء كنيسة الإسكندرية مثل كليمنضس أو أثناسيوس أو كيرلس .. وغيرهم ، كان علينا أن ندرسه من الإنجليزية أو الفرنسية أو الألمانية.. ووجه الضعف هنا أن أشهر هذه المجموعات (آباء نيقيه وما بعد نيقيه) عبارة عن مختارات selected Library ، أي لا تشمل كل هذا التراث العظيم. لم لا نترجم كتابات آبائنا القديسين ؟ لم لا نفتح باب الدرس والبحث واسعاً ميسراً لأولادنا وبناتنا ؟ وأين المكتبات الزاخرة بالمراجع والمعاجم ؟ وأين المنح الدراسية في الداخل والخارج ؟! وليس البحث مهملاً في مجال فكر الأباء والكتاب المقدس فقط ، بل وفي كل المشاكل التي تواجهنا ، وكيف نتصور أننا نستطيع حل مشكلة واحدة دون بحث ودراسة ؟!

والمنهج العلمى في البحث لا يقفز قفزاً إلى وضع حل للمشكلة ، كما يفعل المتحدثون في التليفزيون ! بل يبدأ بجمع المعلومات وتحليلها وربطها ومحاولة الوصول إلى قانون للظاهرة، وفي النهاية قد يصل إلى حل وقد لا يصل . بل المنهج العلمى هو أن ندرس ونبحث ، وإن لم نستطع الوصول إلى اجابة فليس ما صنعناه جهداً ضائعاً ، بل هو أساس يبني عليه من يأتي بعدنا .

إن المثال الواضح في هذا هو اسلوب دراسة الكتاب المقدس بالطريقة الاستقرائية ، وهنا عندما ندرس نصاً كتابياً ، لا نقفز إلى التفسير ، بل نسأل أولا عن : المكان ؟ الزمان ؟ الشخصيات ؟ الحدث المذكور ؟ كيف تم الحدث ؟ واخيرا قد نصل إلى معنى النص .. باختصار : أين ؟ متى ؟ من ؟ ماذا ؟ كيف ؟ لماذا ؟

ولكن طالما بقي هذا المناخ الفكري الذي ينظر بشك إلى المنهج العلمي في البحث، فلا فائدة من ترديد الكلام حول العصر وتحديات العصر وروح العصر ... فإن لم نستوعب روح المنهج العلمي لن نتقدم خطوة واحدة في ركب العصر .

١٩ـ فن المعلومات

يتصور البعض أن القرار السليم يعتمد على خبرة وحكمة من يصدر القرار. وهذا وإن كان صحيحاً ألا أنه غير كاف !.. فإلى جانب الخبرة وحسن تقدير الأمور، لا يمكن لشخص أن يصدر قراراً سليماً دون معلومات كافية.

ولنتصور خادماً يزمع أن يبدأ العمل الروحي في منطقة ما ، إنه يحتاج ، قبل أن يقرر أي شيء ، وبعد أن يصلي كثيراً ، إلى دراسة المنطقة محاولاً الوصول إلى إجابات على الأسئلة التالية :

- ❖ كم عدد المقيمين بالمنطقة ؟ وأين يقيمون ؟
- ❖ كم منهم يعملون ؟ وماذا يعملون ؟ كم منهم يدرسون ؟ وماذا يدرسون ؟
- ❖ كم منهم حرفيون ؟ وكم مهنيون ؟ وكم ربات بيوت ؟
- ❖ كم منهم مسنون ؟ وكم أطفال ؟
- ❖ ما هي سمات المنطقة ؟ (طاردة – جاذبة – صناعية – طلابية - ...) ؟

❖ وما هي أيام إجازاتهم الأسبوعية والسنوية ؟

قدر هائل من المعلومات ، علي الخادم أن يجمعه ثم يقرر : ما هي احتياجات الناس؟

- دار للحضانة أم دار للمسنين ؟
- اجتماع عام أم فصول للتربية الكنسية ؟
- لقاء لدراسة الكتاب المقدس ، أم اجتماع متنوع الموضوعات ؟
- نادٍ رياضي للشباب أم نادٍ للعائلات ؟
- مكتبة للفيديو أم مشغل لتعليم البنات ؟
- وما هي الأولويات ؟ ثم يبدأ ؟ ثم بماذا ؟
- وما هو حجم الإمكانات المطلوبة في كل مشروع ؟ وما هي خطوات تنفيذه ؟

أو بمعني آخر ، ترجمة هذه الاحتياجات إلى خطة زمنية طويلة ، ولكن مقسمة إلى خطوات صغيرة حسب الإمكانات البشرية والمادية المتوفرة .

هذا هو أسلوب العصر ...لا قرار سليم بدون معلومات كافية ، ولا يصح تكرار أشكال معينة من الخدمة لمجرد أنها اثبتت نجاحها في مناطق أخرى ، ومهما بدأ شكل الخدمة سليماً ، وما المانع أن نبتكر أشكالا جديدة للخدمة[١٨] مادامت تلبي احتياجات الناس ؟!

هذا لا بديل عن " الكمبيوتر" فهو الوسيلة التي تمكننا من التعامل مع هذه الكميات الهائلة من المعلومات في سلاسة بالغة .

وماذا عن الخدمات القائمة بالفعل ؟ ، ولنأخذ مثالاً لنشاط شائع مثل الرحلات :

- كم رحلة قمنا بها ؟ والي أية أماكن ؟
- كم عدد المشتركين في كل رحلة ؟ ومن هم ؟
- كم قيمة الاشتراك في كل رحلة ؟ وفيم أنفق ؟
- ما هي الشركات السياحية التي تعاملنا معها ؟
- ما هي البرامج التي قدمناها في كل رحلة ؟ ومن الذي نفذها ؟..

---

١٨ فى المناطق الشعبية يحتاج أولادنا وبناتنا الى مكان للمذاكرة ، لم لا ترتب الكنيسة مكاناً مريحاً جيد الإضاءة مع وجود خدام لحفظ النظام ، وكم من نادٍ عائلي داخل الكنيسة كفيل بحفظ الناس من شرور المقاهي .

إن جمع هذه المعلومات سوف يمكننا من الحصول علي أجوبة لأسئلة هامة :

- ما هي نوعية الرحلات التي تجذب الشباب ؟ والتي تجذب الكبار ؟
- هل رحلاتنا قاصرة علي مجموعات معينة ؟ أم تشمل جدداً في كل مرة ؟
- مَن مِن الخدام له خبرة بالرحلات ؟
- ما هي المسابقات التي تجاوب معها الناس ؟
- ما هي الخبرات الجديدة في كل رحلة ؟

وهكذا نستطيع أن نأخذ القرار السليم ، ونعد للناس رحلة أفضل بكثير من سابقاتها ولو ابتعد المسئول عن الرحلات لأي سبب ؟ هل يبدأ من تولي المسئولية بعده من الصفر ؟ إن توفر هذه المعلومات سينقل إليه في وقت قصير خبرات من سبقوه .

بالطبع هذا يتطلب أن نعود أنفسنا على تدوين كل معلومة خاصة بالنشاط ، وقد يستثقل الناس هذا في البداية ، ولكن متي أدركوا نفعه ، ومع اليسر في التعامل مع المعلومات بواسطة الكمبيوتر سيصبح الأمر اكثر سهولة . أما ترك الأمور للذاكرة والظروف فلن يؤدي إلا إلي انخفاض مستوى النشاط وفاعلية الخدمة .. والغريب أن بعضنا ينظر إلي هذه الأفكار بضيق شديد . محتجاً بأن الخدمة ، طول عمرها تسير بترتيب ربنا ، وأننا بهذا الشكل نحولها إلي عمليات روتينية ! مرة أخري هو الكسل العقلي ، والقصور عن استيعاب منجزات الإنسان ، هذا المخلوق علي صورة الله .

إن حرية المعلومات وتيسير الوصول الى المعرفة من السمات الأساسية في عصرنا هذا ، والمؤلم أن هذا المفهوم لم يمتد إلى بلادنا بعد ، فبينما تتنافس الهيئات في اتاحة المعرفة للكل على مواقع مفتوحة على الانترنت ، معتبرة أن المعرفة مثل البذور التي تلقى فتثمر أضعافاً مضعافة ، نجد لدينا من يضع الحواجز والسدود أمام الوصول إلى أية معلومة مهما كانت بسيطة .

ولقد مررت بتجربة شخصية في هذا المجال ، فعلى امتداد ما يقرب من عامين قمت بالبحث في تاريخ دير وكنيسة مار مينا الأثرية بفم الخليج ، وهي كنيستي منذ ارتبطت بالخدمة . ووجدت كل مساعدة من مكتبة الآباء الدومنيكان ومكتبة المركز الفرنسيسكاني، والمعهد الفرنسي للآثار ، والمركز الألماني للآثار ، بل ومن الموظفين

الحكوميين في هيئة الآثار وفي هيئة الوثائق القومية بدار الكتب ... ولكن هناك مصادر أخرى تمنيت الوصول إليها ، لكن لم يتيسر لى ذلك لسبب أو لآخر .

إن ساعات قليلة على شبكة الإنترنت تفتح للباحث أعظم مكتبات العالم مثل مكتبة الكونجرس ومكتبة المتحف البريطاني وغيرها ، فقد آمن العالم كله بحرية المعلومات .

والحق أن مكتباتنا القبطية تحتاج إلى وقفة، حتى تصبح منجماً للباحثين والدارسين لكى يتسنى استثمارها بطريقة أسهل وأفضل ، وحتى لا تتحول إلى مجرد مخازن للكتب.

٢٠ـ الاتصال والإعلام

لا توجد مسألة أثارت وتثير أشد الاهتمام لدى كل الخدام علي كل المستويات ، مثل مسألة تأثير التليفزيون علي الناس ، فالخدام يشعرون بحق ، أن هذا الساحر العجيب الذي دخل بيوتنا يملك من القوة ما لم يسبق لهم أن تعاملوا معها .

وقد أدركت كل الحكومات ذلك ، وفي مصر قبلت الحكومة ، عن إقتناع ، بإلغاء كل أشكال الرقابة الحكومية علي الصحف ، بينما تمسكت ، عن اقتناع أيضا ، بإبقاء الرقابة علي التليفزيون . وليس هذا تزمتاً من الحكومة ، فذلك الساحر الرهيب أخطر من أن يترك لأية يد عابثة أو غير مسئولة للتأثير علي عقول الناس.

وفي كل بلاد العالم تخضع المواد الإعلامية للمتابعة . ويقوم بهذا المجتمع المدني والذي يملك أن يفرض الالتزام بقيم المجتمع . وحتى في الولايات المتحدة ، وهي البلد الوحيد الذي تُرك فيه هذا المجال تماماً للقطاع الخاص ، توجد محظورات لا يسمح القانون بتجاوزها ، ويملك الناس إجبار أية قناة إذاعية أو تليفزيونية علي التوقف ، بالامتناع عن التعامل معها مما يفقدها مصدر دخلها من الإعلانات .

لقد دخل التليفزيون حياتنا ، وأصبح العامل الأول في تشكيل عقول أولادنا وبناتنا ، وبلغ الأمر أن بعض الخدمات تتأثر خلال بعض فترات السنة حين تبلغ البرامج أقصي حدود التشويق ، واذكر يوماً انخفض فيه عدد الأطفال في فصول التربية الكنسية إلى أقل من الربع !! ففي نفس موعد الخدمة ، كان التليفزيون يعرض مسرحية شهيرة لأول مرة !

إن الإعلام ووسائل الاتصال الحديثة قد أثبتت أنها جزء من روح العصر ، بل أنها الأشد تأثيراً وخطورة، لأنها تقوم بصياغة أفكار الناس. ولا تتعجل ياعزيزي بإصدار أحكام علي الشباب ، فكم منا – نحن الكبار – تشوق إلى اقتناء سلعة لا يدري جودتها ، بل قد لا يحتاج إليها ، ولكنها إعلانات التليفزيون !! وقد تعاظمت أهمية هذه القضية بعد السيل المنهمر من القنوات الفضائية كلٌ تقدم أفكارها على أنها الطريق الأقرب إلى السعادة .

وبعد ان انفردت الولايات المتحدة بالقوة في العالم ، أطلق الأمريكيون قنابلهم الإعلامية تبشر بثقافة الكوكاكولا والهامبورجر والديسكو ، وتجعل للحياة هدفاً واحداً هو إشباع الرغبات إلى السلطة والمتعة والتفوق على الآخرين .

أننا نحتاج إلي أن نتابع وسائل الإعلام وكل ما يقدم فيها ، وأن نفهم لماذا يتأثر الناس به ؟ وأي المواد تؤثر فيهم أكثر ؟ وما هي الأساليب التي ينجذبون إليها ؟

لقد ازدادت خطورة هذه المسألة لعدة أسباب :

١- إتساع مجال الأرسال التليفزيوني عن طريق الفضائيات بشكل غير مسبوق مما يفتح المجال للتعامل مع كل الثقافات وكل الاتجاهات منها الصالح ومنها الطالح. واعتقد أنه لابد أن سيأتي اليوم الذي نرى فيه قناة تعبر عن كنيستنا .

٢- دخول الانترنت إلى حياة شبابنا مما يعرضهم لسيل منهمر من المعلومات والمحادثات قد لا يستطيع الشاب فرزها أوالتفاعل معها بصورة سليمة .

٣- نشوء سوق لما يمكن أن نسميه الإعلام الموازى حيث تمتلئ الأرصفة بعديد من الكتب وشرائط الكاسيت التي تبث افكاراً يعلم الله مدى خطورتها .

إن علينا أن نقدم للناس ما يبنيهم ، وبالأسلوب الذي أحبوه . إن برنامجاً يعرض بحرية وجهات النظر المتنوعة ، يبذر في الشاب العقلية النقدية التي تمحص ما تتلقاه بينما نرى أحياناً المذيع يتولى مهمة طرح الأسئلة وتقديم الأجوبة في آن واحد !

إن فيلماً تلفزيونياً جيداً عن قضية إنسانية أو موضوع كنسي أو مسألة حياتية قد يؤثر في الناس اكثر من عشرات العظات ، وفى عدد من القنوات الفضائية تُقدم برامج عن الطبيعة وعالم النبات والحيوان ونشأة الكون ، وعن سجلات التاريخ ومنو الحضارات وأحدث الاكتشافات العلمية ومتابعة الظواهر الانسانية ، مما يبني الإنسان بشكل بديع ،

ولكنه يبث حزناً فائقاً حين ينتقل المشاهد إلى قنواتنا المحلية التي لا تقدم إلا القليل مما يستحق المشاهدة ، فضلا عن بعض البرامج التي قد تصيب المشاهد بالاكتئاب والتخلف العقلى ولين العظام !

وحسن النوايا هنا لا يكفي ، بل ينبغي أن من يتصدى لهذا العمل أن يكون مستوعباً له ، وبتحديد اكثر ينبغي أن يقوم بهذا العمل خدام مسيحيون دارسون للسيناريو والتصوير والإخراج والمونتاج وغيرها من عناصر الفن التليفزيوني . إن مجلة دينية لا تراعي أصول الفن الصحفي في التبويب والإخراج، لن تدفع الشاب إلى قراءتها مهما احتوت من موضوعات. وفي كلمات قليلة : نحتاج إلي أن نعمد وسائل العصر. فهل نخطو نحو هذا أم نكتفي بالشكوى المريرة واستصدار الفتاوى حول : هل التليفزيون حرام أم حلال ؟!

٢١ـ الإدارة الحديثة

في عصرنا لا يكفي للنجاح أن تتوفر الموارد أو تتواجد الكفاءات ، فقبل كل شيء ، لا غنى عن الإدارة العلمية . وتعالوا نتفق أولا على معنى الإدارة الحديثة .. ببساطة هي تحديد هدف في حدود الموارد المتاحة ، ثم اختيار الوسائل التي توصل إلى الهدف ثم ترجمة هذه الوسائل إلى خطة ، ثم توصيف للمسئوليات المتنوعة في تنفيذ هذه الخطة وتوزيع المسئوليات على الأفراد المشاركين ثم متابعة التنفيذ طبقاً لبرنامج زمني مع تقييم النتائج على فترات محددة. ولنأخذ مثالاً لنشاط كنسي :

الهدف : تقوية الصلة بين الناس والكنيسة.

الوسائل : زيادة المعرفة بالحياة الروحية وتنمية العلاقة بين الناس والكنيسة .

المشروع : عمل نهضة روحية لمدة أسبوع.

الموضوع الأساسي : المحبة.

الموضوعات الفرعية : محبة الله – محبة القريب – المحبة الأسرية – محبة الوطن

الإعداد : تحديد الموضوعات – الاتفاق مع المتكلمين – ترتيب انتقال المتكلمين – الإعلان والدعوة إلى النهضة – تجهيز البرنامج اليومي (ترانيم – صلاة – كلمة) – تجهيز مسابقات وهدايا – أفلام قصيرة للأطفال – أوراق أو كتب للترانيم

الخطة الزمنية : تقام النهضة من ٨/١٥ إلى ٨/٢١

توقيت الإعداد :

١ يوليو اجتماع صلاة – تحديد الهدف والموضوعات – توزيع المسئوليات.

٧ يوليو الاتفاق مع المتكلمين – اختيار الترانيم.

١٥ يوليو تنفيذ المطبوعات – بدء الاعلان والدعوة – حجز الأفلام

٢٠ يوليو إعداد المسابقات والهدايا.

٥ أغسطس قداس خاص – لقاء مراجعة وتنسيق.

١٥ أغسطس بدء النهضة. ٢١ أغسطس انتهاء النهضة.

٢٥ أغسطس لقاء للتقييم. ٣٠ أغسطس تقرير نهائي

توزيع المسئوليات

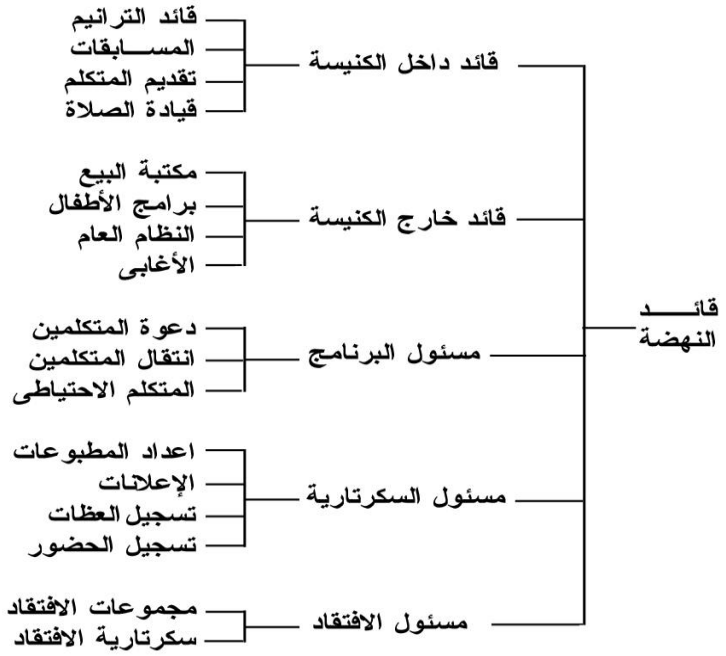

هل يبدو الأمر معقداً ؟ الحق أن العكس هو الصحيح . إن الإدارة السليمة قائمة على مبدأ توزيع المسئوليات، مع تحديد كل مسئولية بوضوح تجنباً لأي تداخل أو تواكل . وكل هذا الإعداد من أجل تحقيق الهدف ، وتجنب أية مواقف مفاجئة :

مثال : انقطع التيار الكهربائي عن الكنيسة

قام المسئول داخل الكنيسة بإضاءة عدد كبير من الشموع سبق تجهيزه ، وبتقديم مكبر صوت يعمل بالبطارية سبق توفيره .

مثال : حضر عدد كبير من الأطفال مع عائلاتهم مما سبب تشويشًا

قام المسئول خارج الكنيسة بتوجيه الأطفال إلى قاعة مجاورة حيث شاهدوا عددًا من أفلام الفيديو المختارة بحيث تغطي مدة عرضها الفترة المخصصة للنهضة.

أما ترك الأشياء لوقتها، "ووقت الله يعين الله"، فهذا غير مقبول ، وتصوروا لو انقطع التيار وأخذنا نبحث عن مكبر للصوت ، ثم اكتشفنا أنه بدون بطاريات !! ..

وفي لقاء التقييم يجتمع المشاركون في العمل للإجابة على أسئلة محددة :

هل كان الإعلان مؤثراً ؟ وكم كان متوسط الحضور ؟

إلى أي مدى كانت الأنشطة المساعدة ناجحة ومؤثرة ؟ ...

وكم يكون طيبًا لو قدمت هدايا رمزية لكل من ساهم بأي قدر في الخدمة.

واضح إذن أن الإدارة الحديثة تقوم على تفويض السلطة مع احترام كامل لتقسيم المسئولية ، فلو فوضنا مسئولية ما إلى أحد الخدام فله مطلق الحرية في التصرف ولا يجب أن يستأذن قبل كل خطوة . أكثر الخدام يشتكون من سلبية الشباب، وتكاسلهم ، وإهماهم فيما يطلب منهم . فليكن معلومًا أن من لم يشارك في التخطيط لن يتحمس للتنفيذ ، لذا فلتكن المشاركة حقيقية من البداية وليست مشاركة صورية، وينبغي أن يكون لكل خادم ولكل شاب رأيه منذ اللقاء الأول لتحديد الهدف، وأن يؤخذ رأيه في الاعتبار، وما الذي يمنع أن تتعدل موضوعات النهضة بناء على رأي المجموعة ؟! .. إن على خادم الشباب أن يثق في الشباب ، وأن يؤمن بقدراتهم، وصدقوني عن تجربة، أن من هؤلاء الشباب ستخرج طاقات مذهلة.

والاعتراض المألوف على هذا الأسلوب في تفويض المسئولية والسلطة ، هو أن شابًا ليست له خبرة كافية في الخدمة قد يكون سببًا للعثرات ، وستكون تصرفاته محسوبة على الخدمة ، نعم هذا ممكن، ولكننا نعمل في إطار المجموعة ، وما يفوت سمير لن يفوت نبيل ..

وهكذا . ولا شك أن الخطأ وارد في كل المجالات ولكن كلما اتسع مجال تقسيم المسئولية كلما قل احتمال الخطأ، فضلاً عن المتابعة الدائمة التي تقوم بها المجموعة.
ومن منا بلا أخطاء ؟ ! .. وماذا لو كان كل شئ معلقاً بقائد واحد، ثم اخطأ هذا القائد ولو سهواً، ألن ينهار العمل كله ؟ !
ثم ماذا عندما نشرع في إعداد نهضة أخرى ؟ وفي هذه المرة ياعزيزي الخادم ، سيكون لديك عدد كبير من الشباب ممن اكتسبوا خبرة سابقة تستطيع أن تسلمهم المسئولية لو أرادوها ، ولو شجعتهم أنت ، واحتضنتهم وسترت عليهم بجناحي المحبة والفهم .

٢٢ـ العمل الجماعي

العمل المطلوب إذن متسع ومتعدد الأبعاد ، ويحق للخادم أن يتساءل ، كيف يمكن له أن يبحث في التراث ، ويدرس الكتاب المقدس ، ويمارس عبادته ، ويدير النشاط، وفي الوقت نفسه يتابع وسائل الإعلام ، ويقرأ في علوم العصر، و .. ؟
لقد مضي زمن العبقري الذي يخرج علي الناس بالحلول . ومضي زمن المخترعين الأفراد ، وأصبح زمننا هو زمن الفريق ، فكل إنجاز تسمع عنه ناتج عن عمل منسق شارك فيه كثيرون . وفي مؤتمر علمي ، سألت أحد العلماء الهنود : كيف تأتي لهم في بلد تعداده نحو مليار نسمة يعانون من الفقر والتخلف مشاكل لا حصر لها ، أن يحققوا هذا التقدم العلمي والانجاز التكنولوجي الهائل ؟ فأجابني بأن السر يكمن في كلمة واحدة هي " تنسيق الجهود" لقد أتي زمن العمل الجماعي وهي مسألة نجد صعوبة شديدة في تقبلها . فمن ناحية توجد في أعماق وعينا صورة الهرم الذي يعلوه الفرعون، ومن ناحية أخري نحن نتربى بطريقة فردية وعلي أن نحيا كأفراد ، ومن ناحية ثالثة نحن لا نتصور كيف يمكن أن يعمل فريق متجانس .وحتى أن تصورنا هذا لا نستطيع أن نري العدد الكافي من "القامات الروحية" للتصدي لهذا العمل المتسع .
إن الخادم القائد ينتمي بالضرورة إلى جيل سابق لجيل الشباب الذين يخدمهم ، ومهما حسنت نواياه ، فلن يستطيع أن يدرك تماماً معاناة وتطلعات هؤلاء الشباب، وبالتالي لن يستطيع أن يقدم لهم ما يشبعهم ويروي ظمأهم .

وهنا يكون للخادم : إما أن يكرر أساليب الخدمة التي سبق أن قدمت له وقت أن كان شاباً، وإما أن يحدد احتياجات الشباب لما يجب أن يقدم لهم من نشاطات وموضوعات .

إن أسلوباً فعالاً في خدمة الشباب في الثمانينات لن يصلح بالضرورة الآن ، إن اجتماعاً للصلاة كان يستمر ساعة قديماً ، قد لا يتجاوب معه الشباب اليوم . نعم يحتاجون إلى اجتماع للصلاة ، ولكن في شكل آخر يتناسب مع تكوينهم الذهني والنفسي ، ومع إيقاع حياتهم .. بل إنه من المؤكد أننا بحاجة إلي ابتكار أشكال جديدة تماما للخدمة . وقد أثبتت التجربة أن دراسة أغلب الموضوعات في حلقات للمناقشة ، أو بتقسيم الشباب إلى مجموعات عمل ، أكثر فاعلية بمراحل من اسلوب المحاضرة أو الوعظ فضلاً عن فائدته في إكساب الشباب عدداً من الخبرات التربوية البناءة ، مثل : التعبير عن الأفكار ، احترام فكر الآخر ، الشعور بالانتماء ، القدرة علي القيادة ، التعاون ، الثقة في النفس...

ورغم أن الاستبيانات هامة جداً في التعرف علي احتياجات الشباب ، إلا أنها إذا قدمت في شكل تقليدي مباشر لا تعطي إجابات حقيقية . فأحيانا لا يعرف الشباب ما يحتاجون إليه ، لأنهم لم يتدربوا علي ترجمة انطباعاتهم أو علي التفكير المنظم.

إن علينا أن نقدم لهم ليس ما يطلبونه فحسب ، بل وما يحتاجونه فعلاً، وبالشكل الذي يتفاعل معهم . ففي فترة ما قد لا يشعر الشاب بحاجته إلى اكتشاف ذاته أو إلي تكوين علاقة قوية مع شخص ربنا يسوع المسيح ، إلا أن هذه الحاجة تكون كامنة تحت ركام من ضغوط الحياة اليومية والفكر المشوه الذي نشأ عليه... وحتى في هذه الحالة لا ينبغي أن يقدم إليه المسيح بشكل وعظي مباشر.

وما الحل إذن ؟... لابد من أن نتخلى عن أسلوب الاتصال في اتجاه واحد (من أعلي إلي أسفل)، بمعني أسلوب الإملاء أو تقديم النصائح والحلول . لابد من التفاعل الحقيقي مع الناس وأن يكون اتصالنا بهم اتصالاً ذي اتجاهين ...أخذ وعطاء . ولكن لنحترس فلو طلبنا من الشباب أراءهم ثم تجاهلناها سيصيرون أكثر سلبية ، ويصبح من العسير تكرار أخذ الآراء مرة أخري ، فسيكون الرد وقتها : وما الفائدة ما دمتم لا تسمعون ما نقول ! ولن يقدم الشباب آراءهم بصدق، بدون مشاركة حقيقية في الخدمة أى لو لم يكن العمل جماعياً بكل معني الكلمة ، لكل دوره، ولكل حرية اتخاذ القرار في حدود هذا الدور، والكل

يعمل في إطار خطة ونحو هدف ناقشوه معاً وأقروه معاً واقتنعوا به معاً . وذات مرة ناقشني خادم في أسرة جامعية ، بأنه أعد الخطة ووزع الأدوار علي الشباب ، ومع ذلك لم يستجيبوا وظلوا علي سلبيتهم . وكان يجب أن يتوقع الخادم هذا ، فبديهي أن هذا ليس عملاً جماعياً . فهناك فرق بين أن يقوم الخادم بدور المنسق في العمل الجماعي، وبين أن يقوم بدور المخرج في مسرحية من تأليفه !

وباعتماد أسلوب العمل الجماعي يمكننا أن نضرب عدة عصافير في آنٍ واحد :

+ فهو يثبت انتماء الشاب إلي الكنيسة ، ويحوله من مستمع إلي عضو في الجسد

+ وهو ثانياً يعطي التقييم الفوري لأي أسلوب قديم أو جديد لخدمة الشباب.

+ وهو ثالثاً يوفر الطاقات الكثيرة والمتنوعة اللازمة للتصدي للعمل المطلوب.

+ وهو رابعاً يجعل الشاب متلامساً مع طبيعة الخدمة ومدركا لظروفها عن قرب، فينتقل من التذمر السلبي إلي موقف النقد الإيجابي البناء المشارك في المسئولية.

+ وهو خامساً يتيح الفرصة لكل شاب لكي يكتشف وزناته فيعي رسالته التي خلقه الله لأجلها ، ويصبح للحياة معنىً أكبر من مجرد العيش مثل باقي الناس.

+ وهو سادساً يعد جيلاً جديداً سيأتي عليها الوقت لتتحمل المسئولية ، فلا تهتز الخدمة إذا رحل القائد إلى مدينة أخرى أو محافظة أخرى أو إلى الحياة الأخرى !

إن الإصرار علي إبقاء شكل الخدمة في صورة قائد واتباع ، لن يؤدي إلا إلي تعميق الفردية والسلبية في حياتنا ، والى انفضاض كل ذي موهبة عن خدمتنا ..

وقبل الدخول في التفاصيل نرجو أن يضع الخادم في اعتباره بعض المحاذير :

١- التواجد المتكرر للمجموعة معاً دون هدف واضح لا يبني .

٢- البدء بتوقعات كبيرة يؤدى بعد فترة إلى فتور الحماس .

٣- تعاظم دور الخادم أو القائد يحرم المشاركين من خبرات المسئولية والعمل .

٤- التعجل في الوصول إلى الأهداف يفتت المجموعة إلى قائد وأتباع .

٥- الاهتمام الزائد بالإنجاز على حساب الوسائل علامة على اختلال المعايير .

٦- الإهتمام بنمو العدد على حساب وضوح الهدف يضيع الهدف والمجموعة معا

٧- منو الجماعة دون أن تفقد فرداً واحداً (إن أمكن) يستلزم اتساع هدف الجماعة ليشمل أهداف المشاركين في اطار الهدف العام للمجموعة .

وفيما يلي ورقة عمل قدمت في مؤتمرات أسقفية الشباب تحت عنوان :

كيف تؤسس وتنمى مجموعة عمل في احد مجالات خدمة الشباب

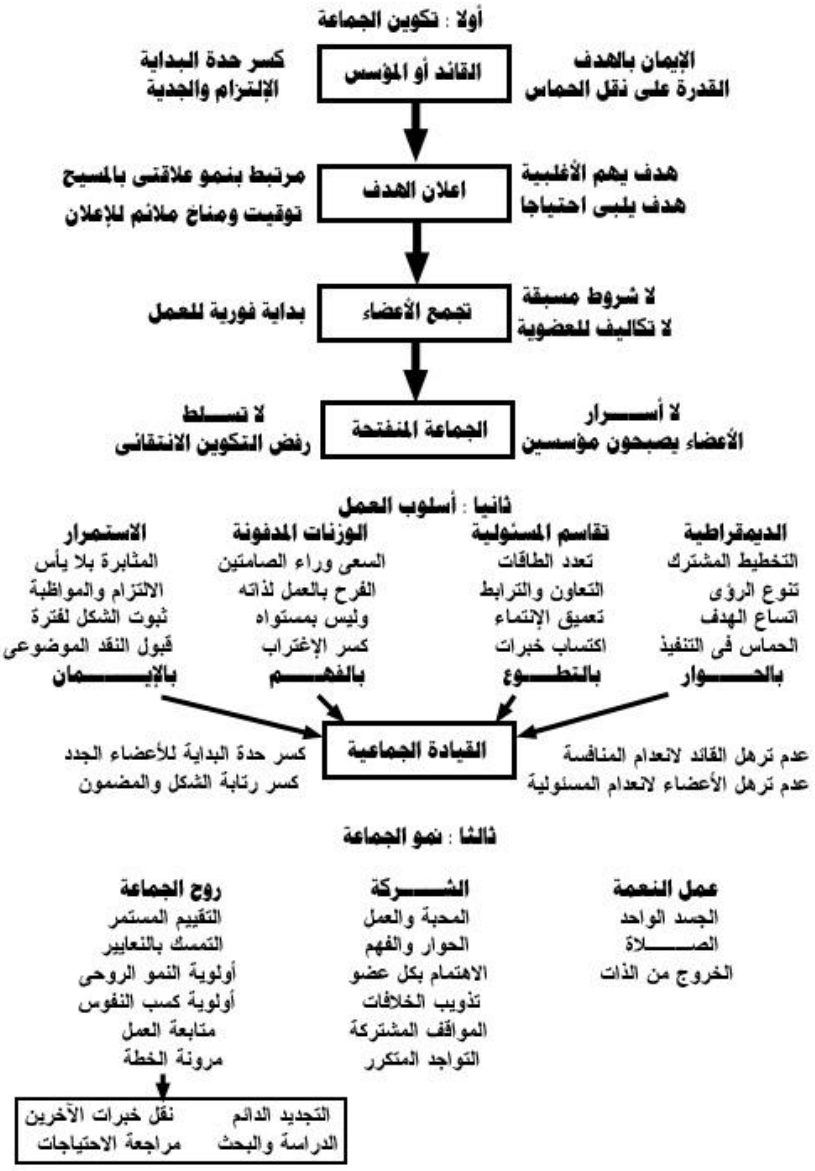

٢٣ـ الثقافة العامة

حين بدأ العدوان علي مصر عام ١٩٥٦، طلبت السلطات من راهب فرنسي كان مقيماً بالإسماعيلية ، الانتقال إلي القاهرة لظروف الحرب . وفوجئ المسئولون بالمدينة كلها تخرج لوداع ذلك الراهب في محطة القطار ! لقد كان الرجل مديراً لإحدى المستشفيات الخيرية وقضى أغلب عمره يخدم الناس في إخلاص وتجرد.

" أنتم نور العالم ... لا يوقدون سراجا ويضعونه تحت المكيال ، بل علي المنارة ليضيء لكل من في البيت – مت ٥ : ١٤ " . إن ممارسة الخدمة لدورها في المجتمع أو بمعني آخر الالتزام الاجتماعي للخدمة ، أي استيعاب هموم المجتمع وغرس الانتماء والإيجابية في نفوس الشباب ، جزء لا يتجزأ من رسالة المسيح .

ولكن كيف نحب من لا ندري عنه شيئاً ؟... إن فخ الطائفية منصوب لبلادنا ، وعلينا أن نبذل كل جهد من أجل تجنيب بلادنا السقوط في هذا الفخ المميت .

وكما ينشأ التعصب من الجهل بالآخر ، يضمحل التعصب بالاحترام المتبادل ، والذي ينشأ عن المعرفة الحقيقية المنصفة ، وعن الفهم الساعي نحو الفكر الآخر.

إني لا أجد بديلاً عن دراسة التاريخ العربي ، واستيعاب منجزات الحضارة الإسلامية منذ أن نشأت وحتى بلغت أوجها في القرن الرابع الهجري ، إن هذا الفهم سيساعدني علي إدراك آلام وآمال وهموم وطموحات إخوتي في هذا الوطن . وبالمثل أيضا لو تعرف اخوتنا المسلمون على التراث والحضارة القبطية .

وللمسألة أيضا بعد آخر ، إن الفهم الأرثوذكسي يعتبر الإنسان هو الهدف من عناية الله ورحمته وتدبيره وخلاصه . إن هذا الفكر ينبغي أن يترجم في حياتنا إلي سعي لاستيعاب التراث الإنساني في كل ميادينه . إن الإنسان الحقيقي لا غني له عن الإلمام بهذا التراث العريض في الفلسفة والفن والأدب والعلم والتاريخ والحضارة . إن هذا الإلمام سيكون لنا النظرة المسكونية للحياة ، فنحن لا نحيا وحدنا في هذا العالم ، ولا نستطيع أن نحيا وحدنا . نحن بحاجة إلى غيرنا ، كما أن غيرنا بحاجة إلينا ...

إن المسيح، خالق ورب هذا الكون، قد استعلن بشكل أو بآخر في كل حضارة وفي كل إبداع وفي كل زمان ومكان .. وكم ستزداد حياتي ثراءً حين أري يد الله الفاعلة في منحوتات

مايكل انجلو ولوحات رامبرانت وفان جوخ وموسيقي موتسارت ومسرحيات شكسبير وآرثر ميللر وروايات دستويفسكي وتولستوى وديكنز وهاردى وهوجو وأندريتش وماركيز، وأشعار الذبياني والمتنبي وعبد الصبور وأمل دنقل وحجازي ، وفلسفة المعتزلة وإبن رشد وبرجسون وبردييف وهيجل ودوركايم ، وأفكار الجاحظ وجبران ولويس عوض، وعمارة لويداريت وحسن فتحي ، واطروحات برتراند راسل وتوينبي وشاردان وقوانين حمورابي ونسبية اينشتين.

إن الشاب الذي يسعي إلى بناء نفسه في المسيح ، ينبغي أن ينال الفرصة لتكوين ثقافة حقيقية ، وعلي عكس الشائع ، ليست الثقافة هي المعرفة أو المعلومات العامة ، بل هي تفاعل هذه المعرفة مع شخصيته الحية لتنتج في النهاية نظرة شاملة في الحياة ، وموقفاً تجاه المجتمع. وليست الثقافة كما نظن متصلة بقوى الفكر فحسب، بل هي تهذب العاطفة وتشحذ الإرادة أيضا، فمن يقرأ لثاكرى وجالزوثي، ولا يعلي من شأن الأصالة علي الزيف؟ ومن يطالع لطه حسين ولا يتحفز لتخطي العقبات ؟ ومن يتذوق شتاينبك ولا يرفض كل أنانية ؟!..

وبنفس القدر الذي نسعي به نحو الآخر ، ينبغي أن نتيح الفرصة للآخر لكي يقترب إلينا . إني أتصور أن علينا مسئولية هامة نحو تعريب تراثنا كاملاً . فإلى متى سيظل فكر الآباء سجيناً للغة اليونانية . إننا بهذا التعريب نحطم ذلك السد القائم أمام شبابنا بل وأمام الجميع ، يمنعهم من استيعاب هذا التراث الحي والتفاعل معه.

إن التعريب وحده هو الذي سيثبت إلي أي مدى عمل روح الله في أجيال متعاقبة ، وهو الذي سيثبت أن هذا التراث صالح لأجيال كثيرة ستأتي بعدنا . إن سكوتنا عن تعريب تراثنا وتحقيقة ودراسته واستيعابه، يجعلنا كمن يحرم طفله الرضيع من لبن الأم اكتفاء بتغذيته بالمحاليل !

٢٤ـ البناء الثقافي للشخصية

الثقافة ليست جمع المعلومات بل فهم المعلومات ، وليست معرفة الظواهر بل إستيعاب الظواهر ، وليست مراقبة الحياة ، بل خوض معاركها . فالثقافة السليمة هي الوعى النابع

من المعرفة والتجربة الشخصية والجماعية ، عندما يترجمه المثقف إلى موقف من القضايا اليومية وإلى إلتزام أدبي وإجتماعي ومسئولية فردية ووطنية ومسكونية . والثقافة ليست بالضرورة شيئاً جيداً بل يمكن أن تكون الثقافة متخلفة أو رجعية . الثقافة إذن هي مجموعة من الأفكار والمبادىء السائدة التي يتعامل الناس على أساسها ويبنون قيمهم وتقييمهم للناس والمواقف والحياة عموماً .

أبعـــاد الثقـــافة :

ثقافة عالمية : بمعنى التيارات السائدة في الفكر والمجتمعات على إتساع العالم . فمثلا أكثر الناس في العالم يعلون من شأن المال ويقيسون قيمة الفرد حسب أنماط إستهلاكية معينة

ثقافة أقليمية : وهي الأفكار والتقاليد التي تحكم منطقة من العالم ، فمثلا الغرب يعلي من شأن العلم والعلماء ، ويضع الحرية الشخصية وقيمة الإنسان الفرد في مكان رفيع . وبينما يعلى الشرق من شأن الدين تجده ينظر نظرة دونية إلى المرأة .

ثقافة الجماعة الكبيرة (الوطن) : المصريون عموماً ، يجلون القديم ، ويخشون السلطة ولا يثقون فيها ، وللغيبيات مكان خاص في حياتهم ، ولإكرام الموتى بصفة عامة حيز مهم من حياتهم ، والمصريون محبون للحياة رغم صعابها .

ثقافة الجماعة الصغيرة : مثال : الأقباط يعلون من شأن الأمانة ، ولا يلجأون إلى العنف ، ويستخدمون أسماء معينة ، ويتمسكون بعادات وتقاليد من العصور الفرعونية بعد صبغها بالصبغة المسيحية : مثل صلاة الثالث والأربعين .

ثقافة شخصية : المبادىء التي تعلمتها في بيتي وبيئتي : اؤمن بالعنف أو أمقته ، أحترم الآخر أو أنفر منه ، أُعلى من شأن المظاهر أو لا أُعيرها إهتماماً .ففي المناطق التي يسود فيها مبدأ الثأر ، يشعر الرجل بتأنيب الضمير ، بل ويصير منبوذاً من مجتمعه لو تقاعس عن الإنتقام. وفي مناقشة ذات مرة حول قضية ثأر ، جرؤت على أن أنصح بالتسامح فكان الرد : نسامح ونضع رأس أهلنا في الطين !

حول الثقافة المسيحية :

١- إن الفكر الأرثوذكسي يعتبر الأنسان هو الهدف من كل عناية الله ورحمته وتدبيره ، وهو موقف السيد المسيح (السبت لأجل الإنسان) .

٢- إن السيد المسيح خالق ورب هذا الكون ، قد استُعلن في كل إبداع إنساني . أننا نرى قوة المسيح الفاعلة في كل إنجاز حضارى عبر الزمان والمكان : في الفكر والفن والتاريخ والعمارة والحرف والإكتشافات العلمية والمبتكرات الأنسانية .

٣- أن الرب دعا إلى التفكير (لو ٢٠: ٤١) وطالبنا بالدخول إلى العمق موبخاً أولئك الذين إكتفوا بالقشور " أخذتم مفتاح المعرفة .. - لو ١١: ٥٢ "

٤- أن السيد المسيح هاجم الجمود في كل صُوره ، فقد أتى ليُكمل (مت٥: ١٧) ورفض التمسك بالشكل (مت٢٣: ٢٣) معلنا أن أمورا كثيرة ستأتي (يو ١٦: ١٢) .

٥- أن الرب طالب تلاميذه بأن يترجموا معرفتهم إلى حياة (إن علمتم هذا فطوباكم إن عملتموه - يو ١٣: ١٧).

نخلص من هذا إلى أن ....الأنسان المسيحي الحقيقي بالضرورة مثقف

سمات الثقافة المسيحية :

ثقافة حتمية : لابد للمسيحي أن يأخذ موقفاً إيجابياً من الحياة و المجتمع .

ثقافة إنسانية : هدف المسيحية هو الحياة الأفضل للجميع هنا على الأرض .

ثقافة حياتية : فما قيمة التشدق بالمبادىء المسيحية دون ممارستها ؟

ثقافة تقدمية مستقبلية : ننظر للغد ، إلى الأفضل ولا نقنع بما هو قائم .

ثقافة قائمة على إحترام العقل : وإعمال الفكر في كل شيء .

كيف أبني ثقافة سليمة ؟

- اسعى إلى معرفة ما أجهله
- أختبر و أتدبر ما تعلمته
- بناء وعى بالإتجاهات السليمة
- تكوين موقف وإلتزام حياتي

مصادر الثقافة :

١- التقليد : بمعناه الواسع من تقليد الكنيسة في رشم الصليب والليتورجيات المتنوعة إلى ما نتشربه من عادات وأساليب بل وأمثال شعبية .

٢- الكتاب المقدس : تعاملات الله مع الأنسان - الطبيعة الأنسانية - تدخلات الله في التاريخ - إعلانات الله عن ذاته للناس.

٣- التراث الأنساني : تطور الفكر (الفلسفة) - سيطرة الإنسان على الكون (العلم) - تطور المجتمع واسلوب الحياة (الحضارة) - تطور الإبداع (الفن) .

٤- التيارات الجارية : روح العصر وقضاياه ومتغيراته ومتابعتها يوما بيوم : الأفكار السائدة وأثرها على السلوك الفردى والجمعى . الكمبيوتر وأثره على التفكير والسلوك . قضايا المرأة والسكان والبيئة . التغير في المسلمات (الوحدة العربية - الأمراض المستعصية - مؤسسات المجتمع وسيطرتها على الأفراد)

وسائل الثقافة :

١- القراءة : الواعية و ليست الناقلة .

٢- التأمل : العملى وليس الرومانسي .

٣- البحث : الأصيل وليس المنسوخ .

٤- الحوار : الفعال وليس الجدل .

معوقات الثقافة

أخطاء شائعة :

- الثقافة بعيدة عن الدين .
- الثقافة تبني الفكر فقط .
- الثقافة ضد بساطة الروح .
- الثقافة الزائدة تربك الفكر

أسلوب التربية :

- يعطل قوى الفكر .
- يغلق فرص الحوار .

موقف الخدمة :

- الشك في نفع الثقافة .
- التعالى على فكر الآخرين .
- تعظيم التراث بالقول وليس بالفعل .

المناخ السائد :

- السطحية والتخلف في وسائل الإعلام والتعليم .

التكلفة المتزايدة :

- إرتفاع أسعار الكتب وسائر وسائل الثقافة .

ضوابط السعي نحو الثقافة :

- التجرد من الذاتية والآراء المسبقة .
- النظرة الشاملة المتسعة وتجنب المراهقة الفكرية .
- وضوح الهدف .
- وجود خطة للتثقيف (ليست مطلوبة في البداية) .

الأهمية الخطيرة للثقافة

خطورة الثقافة ، هي أنها أردنا أو لم نرد ، تشكل كل شيء في مجرى حياتنا :

١ـ تحديد الهوية :

المقصود بالهوية هو ما يميز أية جماعة إنسانية عن باقي الجماعات من حيث عاداتها وتقاليدها ، اتجاهاتها الفكرية ، أسلوبها في الحياة ، تعاملها مع الأغيار من بشر ومادة . أو في كلمة واحدة "ثقافتها" . ولكن شبابنا لا يعلم ما هي هويته الحقيقية ، فأسلوب التعليم والاعلام وكل ما سبق أن أشرنا إليه من قصور ، يضع الشاب في حيرة شديدة فلا يعلم من هو ، ولا يعلم ماذا يريد حقيقة . إن علينا فهم تراثنا وإدراك الإتجاهات الأساسية للحياة المسيحية (من نحن وماذا نريد ؟) .

٢ـ تكوين النظرة الموضوعية :

التغلب على التطرف الفكري وربط الرأي بقائله وتفسير الواقع وليس تبريره .

مثال : الأحادية في التفكير – إرجاع كل المشاكل إلى سبب واحد – قضية التطرف وكيف نفكر في حلول لها (المواجهة الفكرية – المواجهة الأمنية – المواجهة الشخصية – تنمية روابط المحبة مع الآخرين – هل مؤشرات المستقبل مطمئنة ؟)

٣ـ إرهاف التذوق الجمالي :

لا أظن أن الإستمتاع بالحياة يتعارض مع الوصايا ، وإلا فلماذا خلق الله الكون بهذا الجمال أليس ليعلن للإنسان عن محبته له ؟! . إن النفس تشبع عندما ترى بدائع صنع الله ، وما أنجزه الإنسان المخلوق على صورة الله . إن هذا يبني نفسية سوية هادئة منفتحة للكل ، فالخادم المُشبَع عاطفياً قادر على إشباع الآخرين ، وتنمية القدرة على الإبداع لدى شباب يخدمهم . إن الفن الراقي يغسل النفس من همومها ويحررها من مخاوفها ويطلق طاقاتها . جرب أن تناقش الشباب عن الإنتماء قبل زيارة معبد فرعوني وأن تستأنف المناقشة بعد الزيارة . جرب أثر الموسيقى والإلمام بالفن التشكيلي على القائمين بالخدمة في وسائل الإيضاح ، بل وعلى الكبار والصغار. وعن تجربة شخصية فان تذوق الفنون الراقية مثل الموسيقى والمسرح ينعكس بشكل محسوس في صورة تطور مستمر في وسائل وأساليب وأشكال الخدمة ، ويخرج باجتماع الشباب من إطاره المتكرر . إنني أزعم أن كل خدمة شباب لابد أن تحرص على الحصول على نسخة من البرنامج السنوي لدار الأوبرا بالقاهرة أو على الأقل أن تتابع البرامج الثقافية في التلفزيون على ندرتها .

٤ـ تعميق الإنتماء :

أنا لا أحيا في فراغ ، بل في بلد أعرفه وأحبه وأحمل همومه وأتطلع إلى أحلامه ، وبدون هذا أعيش إغترابا قاتلا لطاقاتي، والثقافة العامة كفيلة بكسر هذا الاغتراب.

٥ـ تأصيل الإلتزام الإجتماعي :

ماذا سيعود عليَّ وماذا كسب الذين قبلي من إهتمامهم بالآخرين وتحمل همومهم ؟ كيف أحب من لا أفهمه ؟ ينبغي أن أدرك أن حياتي مرتبطة بحياة المجتمع ككل ، إن إستيعابي

لتراث الأنسانية وتاريخ الحضارات الأخرى يساعدني على الخروج من الذات ، ويجعلني أدرك أن عمل الله لم يبدأ ويتوقف داخل حدود المحيط الذي أعيش فيه ، بل يتسع ويتنوع ، فادرك أنني جزء من كل .

٦ـ إستخلاص دروس التاريخ :

الناس هم الناس في كل عصر ، والله هو هو أمساً واليوم وإلى الأبد . إن وجود بعد تاريخي في ثقافتي كخادم ، يؤدي بي إلى رفض الفهم الرومانسي للتاريخ والهروب إلى أمجاد الماضي ، والنجاة من التخبط بعيداً عن خبرة الأجيال وتكوين موقف سليم من الماضي . مثال : كيف واجهت الكنيسة المشاكل الطائفية في العصور السابقة ؟ وهي خبرة لا يمكن استقاءها من مصدر آخر .

٧ـ فهم متغيرات الحاضر :

يتعرض الشباب لتيارات فكرية متعددة مثل الإستهلاكية والإباحية ... الخ، نحتاج إلى تحليل هذه التيارات والتمييز بين الأصيل والزائف منها، وبناء القدرة على الصمود للضغوط الإجتماعية والإيمانية من خلال فهم هذه التيارات وتفسير أسباب صعودها أو إنحسارها .

٨ـ تكوين رؤيا مستقبلية :

ماذا نفعل اليوم ؟ وماذا سنفعل غداً ؟ ماذا نتوقع أن تصير إليه الأمور لنعد نفوسنا وأولادنا له فلا يفاجأون به ، لتكون مواقفنا أفعالاً وليست مجرد ردود أفعالٍ .

مردود الثقافة على الخادم و الخدمة :

- الإعداد الجيد للخدمة .
- الفهم السليم لما يحدث حولنا .
- أستخدام المنهج المؤثر في التعليم والخدمة عموماً .
- استخدام الأسلوب المناسب للتعامل و التواصل مع الناس .
- التخطيط الجيد للمستقبل .

بقي أن نقول أن الخادم الحقيقي بالضرورة مثقف

٢٥ـ المشكلة الاقتصادية

لا يستطيع أي خادم أن يغمض عينيه عن المشكلة التي أصبحت حديث الساعة بين الشباب فقد طغت المشاكل الاقتصادية علي حياتنا، ورغم محاولات خلق فرص للعمل ، إلا أنه لأسباب كثيرة ضاقت أبواب الرزق أمام الشباب ، وخاصة من خلال الوظائف الحكومية . ولأن شبابنا يعانون من الحرمان ، فاغلبهم يجعل هدفه الأول هو الزواج ، والحصول علي دخل يكفل له الزواج ومستلزمات الزواج ، وما أدراك ما هي مستلزمات الزواج ! شقة وأثاث ، وشبكة وزفاف، وأشياء كثيرة ، يقف أمامها الشاب عاجزاً. لقد كنا نطالبه وقت أن كان طالباً بأن يذاكر وينجح ، وقد نفذ ما طلب منه ، وحصل علي الشهادة ، وإذا به يفاجأ بأن هذه الشهادة لم تفتح له أبواب العمل كما كان يتصور . ويتساءل الشاب بمرارة : لقد قمت بدوري ، فلم لا يقوم المجتمع بدوره ويوفر لي رزقاً مضموناً ؟ ولكن جوهر المسألة أن الشاب لم يتعلم كما يجب ، أي لم يتم إعداده بشكل يؤهله لمواجهة الحياة .

فمنذ الصغر لم تتح للشاب الفرصة لاكتشاف مواهبه، وفي البلاد المتقدمة تتضمن برامج التعليم ما يسمي بالتوجيه المهني career guidance ليكتشف الأولاد والبنات وزناتهم مبكراً. أما هنا فالشاب يتجه دائماً إلى الجهة الرائجة!.

وفي فترة ما أشتد الإقبال علي كليات الهندسة إذ كانت توفر وظيفة مضمونة وقت إنطلاقة مصر نحو التصنيع ، ثم تحول التزاحم إلى كليات الطب بعد تزايد مكاسب الأطباء ثم إلى الصيدلة وهكذا . وأتوقع أن يتغير الاتجاه قريباً إلى كليات الحقوق ، ليدور الزمن دورة كاملة قطرها ٥٠ عاما وقت أن كانت " الحقوق" في عصرها الذهبي . وإذا قصر جهد الشاب عن بلوغ الكلية المرموقة ، ترك مقاديره إلى مكتب التنسيق ، ليوجهه حسب الظروف ليتخصص في مجال قد يتعارض مع مواهبه وميوله التي لا يدري عنها شيئاً من الأصل !

وهكذا شاع مصطلح بلا معنى هو "كليات القمة" ، إن كلية القمة هي الكلية التي أتفوق فيها ، وليست الكلية التي تأخذ أعلى مجموع . وأكبر دليل على خلل نظامنا التعليمي ، هو ما حدث مؤخراً حين اتجهت الغالبية إلى القسم الأدبي خوفا من عدم تحقيق درجات

عالية في الرياضة والكيمياء والفيزياء ، بينما العالم كله يلهث وراء العلوم والتقنية الحديثة ! ألم نقل من البداية أن الخلل يكمن في طريقة التفكير .

والشاب في مراحل التعليم ، يتدرب علي الحفظ ، ولا تنمي فيه ملكة التفكير الحر أو القدرة علي الإبداع بأي شكل من الأشكال . والشاب طوال دراسته ، تلقي في الغالب تعليماً نظرياً ، ولم تتح له أية خبرة عملية ، فضلا عن غرس التعالي علي العمل اليدوي في قرارة نفسه . وكثير من الشباب قد تربى دون ثقافة حقيقية ، ولم يهتم أحد بأن يكون له نظرة إنسانية شاملة أو فلسفة للحياة ، فجنح إلى السلبية ، وافتقد الرغبة في الكفاح وتحدي المصاعب .

والشاب أيضا قد نشأ بطريقة سلطوية ، فغابت عنه القدرة علي اتخاذ القرار ، وتعود على إلقاء مسئولية حل مشاكله علي الأسرة أو الدولة أو أية جهة سوى نفسه ! وما بال هؤلاء الذين قدموا له حلولاً وهو طالب ، لا يقدمون له حلولاً وهو خريج يبحث عن وظيفة وشقة وزوجة ، ولو أمكن سيارة صغيرة " فوق البيعة"!

فأذا أضفنا إلي هذا ، أن غياب التفكير المستقل للشاب يجعله دائماً يقيس نفسه في عيون الآخرين ، ويقيم نجاحه بمقارنته بنجاح الآخرين ، أدركنا أي ضغط رهيب يسقط تحته أولادنا وبناتنا ، بينما نغمض نحن عيوننا ، ونردد : هذه المشكلة الاقتصادية يعاني منها العالم كله ، وليست مصر فقط !

وقد يعترض البعض مستنكرين : وهل تريدون من الخدمة أن تتصدى لهذه المشكلة أيضا ؟! ..

لقد أتي المسيح لكي يحقق الحياة الأفضل للناس ، ومادمنا قد تقدمنا لمسئولية الخدمة ، فعلينا أن نجاهد لحل هذه المشكلة المصيرية. إن تعديلنا لمنهج التربية بما يتيح للشاب اكتشاف مواهبه وتنميتها ، وخلق الروح الجماعية ، وتكوين الشخصية القادرة علي الإبداع ، المدربة علي مواجهة الصعاب والاعتماد علي النفس ، سيكون خطوة جبارة علي طريق النجاح وهناك شيء آخر..

إن علينا أن نوجه قدراً من التبرعات إلى المشروعات التنموية ، وإلي التدريب الحرفي لشبابنا حتى من يدرسون منهم ، إن علينا إن نشجع بل ونلح علي القادرين من الناس لتبني التفكير العملي والمساهمة دون تردد في خلق فرص العمل للشباب بشكل مباشر أو

غير مباشر. إن شخصاً يتبرع بنجفة أو سجادة ، أولي به أن يتبرع بمخرطة أو ورشة للنجارة أو فرن للخزف...، وهكذا يتدرب الشباب في إجازاته الصيفية ، وحين يخرج للحياة ، يكون مسلحاً بحرفة تقيه شر الزمن .

وأقولها صريحة إن علينا أن نربي أولادنا على أساس أنهم لن يتعلموا تعليماً حقيقياً في المدارس . وتصوروا معي لو تحول آلاف الشباب ، ممن ينتظرون خطابات التعيين من وزارة القوي العاملة ، إلي منتجين .. كم سيفيدون أنفسهم وبلادهم ، وكم سيكون هذا إسهاماً حقيقياً من الكنيسة المصرية في دفع عجلة التنمية في مصر ، البلد الذي يعيش فينا .

سيعترض البعض بأن الكنيسة هدفها هو خلاص النفوس ، وأنه بهذا ستتحول الكنائس إلى ورش ومصانع ! ولكن – يا من تعترضون – هل رأيتم شاباً واحداً يعاني من إحباط اقتصادي أو فشل عملي ينتظم في الحياة الروحية ؟ إن مثل هذا يكون معرضاً أكثر من غيره ، متي أصابه اليأس ، إلي تقديم أي نوع من التنازلات في سبيل تحقيق آماله ، والشعور بكيانه المستقل .

إذن هل يتفرغ الخادم للتدريب المهني ومشروعات التنمية أم السعي نحو خلاص النفوس؟.. ومن قال أن التنمية ليست سعياً نحو خلاص النفوس[٢] ؟ ومن قال أن علي الخادم أن يفعل كل شيء ؟ إن الكنيسة في الفهم الأرثوذكسي هي كل الناس ، ولو دعي كل الناس إلي المشاركة فسوف تتوفر الطاقات والإمكانات .. مرة أخرى العمل الجماعي يقدم الحل .

٢٦ـ القضية الطائفية

لا يمكن لأي دارسٍ موضوعي لواقعنا أن يغمض عينيه عن التوترات التي تحدث من حين لآخر ، والتي يحزن لها كل مصري واع مخلص ، مسيحياً كان أم مسلماً . وليس هذا هو مجال مناقشة ما حدث وجذوره ، أو تحليل التشويه الذي مس الشخصية المصرية على مدى عقود من الغفلة أو التغافل ، فقد كتب في هذا أساتذة كثيرون ينبغي أن نقرأ ما قدموه

---

[٢] "أن كان أخ أو أخت عريانين ومعتازين للقوت اليومي ، فقال لهما أحدكم أمضيا بسلام ... ولكن لم تعطوهما حاجات الجسد فما المنفعة " (يعقوب ٢: ١٥ ، ١٦)

من تحاليل ودراسات ، لكنني سأعرض فقط لما أراه دروساً للتاريخ ، وما أزعم أنه الموقف الملائم تجاه هذه القضية الشائكة .

من المؤكد أن الأقباط قد تعرضوا في مناسبات متعددة لعدد من الضيقات منذ الفتح العربي، ولكن التاريخ يشهد :

أولا : أن هذه الضيقات كانت الاستثناء وليست القاعدة .

ثانيا : أن هذه الضيقات لم تحتل إلا أزمنة قصيرة جدا متفرقة عبر تاريخ طويل .

ثالثا : أن المقارنة بين ما بعد وما قبل الفتح العربي لمصر ، يؤكد أن اضطهاد روما للمصريين كان سياسة ثابتة ، وأن الأهوال التي تعرض لها الأقباط تحت حكم الرومان المسيحيين ، لا يمكن أن تقارن بفترة الحكم الإسلامي منذ الفتح العربي ، وحتى أصبح القبطي مواطناً كامل المواطنة في عهد العاهل العظيم إسماعيل باشا .

رابعا : أن ما جرى في فترات متفرقة ، كانت أسبابه سياسية في أغلب الأحيان ونستطيع أن نقول أنه في كل الأحوال تقريباً التي وصل فيها الأمر إلى طلب فتوى شيوخ الإسلام كان هؤلاء منصفين ، وجهدوا لحماية الأقباط ، على أساس أن أرواحهم وأموالهم "معصومة ".

خامسا : من الثابت تاريخياً أن الأقباط عاشوا في أمان ، طالما كان الحكم قوياً مستقراً ، ووجدوا في الحكومات المتعاقبة السند والحماية من كل حاقد أو مغرض ، ولم يتعرضوا للأذى إلا في فترات تراخت فيها يد الدولة[٣] ، أو تصارعت قوى متعددة على السلطة .

سادسا : أنه في المرات النادرة التي تحدى فيها الأقباط السلطة ، أو تورطوا في صراعات سياسية ، أو حاولوا مواجهة العنف بالعنف ، كانت العاقبة في كل مرة وبالاً عليهم . إن المسيح أرادنا أن نكون نوراً للعالم وليس حكاماً للعالم .

سابعا : أن بعض الأزمات نشب لأسباب خارجية ، وفي المرات النادرة التي تصور فيها بعض الأقباط أن الأجنبي يمكن أن يكون سنداً لهم ، ثبت أن الأجنبي لا يهمه إلا مصلحته ، وأن نتيجة هذا التفكير الضال كانت شراً مستطيراً .

ثامنا : أنه عندما أثار بعض المتعصبين الفتن بحجة أن الأقباط عون للأجنبي ، تأكد للجميع بما لا يدع مجالاً للشك، أن تمسك الأقباط بوطنهم لا تهزه أية محنة طارئة .

---

٢١ عدا فترة سنتين من عهد الحاكم بأمر الله الفاطمي .

تاسعا : أن في بعض المرات كان محرك الفتنة ، هو تباهي بعض الأقباط بالثروة أو النفوذ ، ويذكر أن كل الفتن حدثت في أوقات مرت فيها البلاد بضائقة اقتصادية[٢٢] .

موقف مبدأي :

١- نحن نحب ولا نكره لأن الله محبة .

٢- نحن لا نخاف لأن الله معنا .

٣- نحن نملك من مصادر القوة والحكمة مناجم غنية ما لم نمسه إلا قليلا .

٤- نحن نريد التقدم والرخاء للكل وليس للبعض فقط .

دروس الجغرافيا والتاريخ :

١- مصر قوية طالما كانت وحدتها الوطنية قوية .

٢- مصر ثرية طالما كانت علاقتها طيبة ومؤثرة في مجالها الحيوي (العالم ككل والمنطقة العربية والإفريقية بشكل خاص) .

٣- مصر إما أن تلعب دوراً أو أن تكون ألعوبةً في يد أحد ، فمصر بحكم موقعها ووزنها التاريخي والبشري هي أهم من أن تترك لشأنها .

ماذا نفعل اذن ؟

- ❖ أن نعيش عصرنا : بالعلم ، وبالديمقراطية .
- ❖ بالمنهج العلمي ومعطيات التحديث .
- ❖ بتعميد وسائل الإعلام والإتصال: نتابع ما ينشر ، وننشر مواقفنا بوضوح .

١- أن نتلاحم مع المجتمع : بنشر تراثنا وبالالتزام بقضايا المجتمع .

- أن تتضمن برامجنا خط الإنتماء واضحاً .
- أن نعطي أهميةً خاصةً للتنمية الاقتصادية .
- أن نعد نماذج لمشروعات خدمة البيئة .
- أن نستمر في تعريب تراثنا .

٢- أن نقدم النموذج الناجح : في العطاء – في الادارة – في المعرفة – في التعليم – في الفكر المستنير .

---

٢٢ باستثناء واحد هو ماحدث عام ١٣٢١ م في أيام الناصر محمد بن قلاوون .

- ان تكون خدماتنا مثالاً راقياً للنظام والاخلاص .
- أن يكون فكرنا تقدمياً إنسانياً .
- ان نقتحم مجالات المعرفة التي تحتاجها البيئة والمجتمع .

٣- ان نملك بعد النظر الذي للحكماء :

- أن ندرك أن المطالب الطائفية غير المقبولة تعمق الانقسام ولا تلغيه .
- ان نتعامل بافراز مع العلاقات الخارجية .
- ان ندعم العلاقات المسكونية داخل الوطن .
- ان لا نسلك ككتلة منعزلة بل كنسيج أصيل في منظومة الوطن .

٢٧ـ التراث والمستقبل

من العسير علي المصري أن يتخلص من الأشياء القديمة ، وكل بيت مصري يزخر بأشياء لا تستعمل ، ولكن أصحاب البيت لا تطاوعهم قلوبهم علي التخلص منها . وهذا الاتجاه نحو تعهد كل ما هو قديم ، بغض النظر عن قيمته ، اتجاه راسخ في النفسية المصرية . ولكن هذا الاتجاه يأخذ بعداً خطيراً حين يتجمد التفكير لدرجة رفض أية فكرة لمجرد أنها جديدة ، ويكفي أن كل من يتقدم برأي أصيل وليس تكراراً لما هو شائع ، يواجه بأن رأيه غير أرثوذكسي !

وأذكر حين اعترض أحدهم علي كلام كنت أقوله في أحد اللقاءات ، بأن هذا الكلام غير أرثوذكسي ! لولا أنني أكدت له أن هذا الكلام منقول حرفياً عن عظات القديس أثناسيوس الرسولي ، إلا أنه جديد علي مسامعه .

يطالب الشباب دائماً بالتغيير ، ويواجه دائما بالرفض ، على أساس أن في التجديد هدم للتراث المسلم لنا ، من الشهداء والقديسين ، والشاهد المستخدم هو ما ورد علي لسان موسى النبي " لا تنقل التخم القديم الذي وضعه آباؤك" (تث ١٩: ١٤).[٥]

---

[٥] التخوم هي علامات تقسيم الأراضي، وقد كان تجاوز حدود التقسيم الذي وضعه الشيوخ بغرض اغتصاب أرض الآخرين خطيئة كبرى – أي ٢٤ : ٢ ، أم ٢٣ :١٠ ، هو ٥: ١ .

إن القيمة الحقيقية للتراث في أنه حي ، بمعني أنه يتمثل بفاعلية في حياتنا اليوم ، ويقدم حلولاً لمشاكل نعاني منها اليوم وامراضاً تسقمنا اليوم . وإن لم يفعل التراث هذا ، يكون تراثاً ميتاً مكانه فقط في بطون الكتب وعلي رفوف المكتبات. إن السمة الأساسية للتراث الكنسي أنه حي فعال ، وأفضل مثال هو الأسرار المقدسة .

إن هناك أشياء تحتاج منا إلى مراجعة ، ولا يعيب تراثنا أبداً مراجعته وتنقيته مما تسرب إليه في بعض الأزمنة ، وقد تنبهت الكنيسة إلى ذلك أول ما تنبهت[٦] . إن تمسكنا بالتراث أمر أساسي لتحديد هويتنا الدينية واتجاهاتنا العقائدية والروحية .

ولكن خلطاً يحدث أحياناً بين تراث الكنيسة في العقائد والعبادات ، وبين أساليب الخدمة ، فينظر الناس إلي اسلوب معين علي أنه تراث لا يمكن تغييره .. وهناك فرق كبير ، فإن كان تراث الكنيسة أمر واجب الحرص عليه ، ليس لمجرد لقدمه بل لفاعليته وحيويته ، فليس كل قديم بتراث . إن أساليب الخدمة التقليدية ليست تراثاً مقدساً ، بل علي العكس أساليب الخدمة يجب تغييرها من حقبة إلي أخرى .

إن الناس يتغيرون في احتياجاتهم ، وفي إيقاع حياتهم ، وما يصلح قديماً ، قد لا يصلح الآن (جا ٧: ١٠)، والخادم الدؤوب لا يكتفي أبداً ، حتى وإن كانت خدمته ناجحة ، بل يسأل نفسه ومن معه دائماً ، كيف يمكن أن تكون الخدمة اكثر نجاحاً .

إن السعي المخلص نحو التغيير إلي الأفضل ، بإضافة الجديد والأكثر فعالية هو السبيل الوحيد كي نسبق الزمن ، فيرى الشباب في الخدمة تحقيق كيانهم في المسيح وبناء نفوسهم ليحيوا العصر ويستوعبونه بل ويغيرونه بالمسيح الساكن فيهم ، وهذا هو البديل عن الجري وراء المتغيرات ، وقبل أن ندركها إذا بها تتغير مرة أخرى .

إن الخدمة المسيحية لابد أن تكون لها النظرة المستقبلية ، فنحن لا نربي أولادنا وبناتنا ليعيشوا عالم اليوم ، بل عالم الغد ، إن برنامجاً للتربية الكنسية يوضع الآن يجب أن يأخذ في اعتباره ليس ما هو كائن، بل ما يتوقع أن يكون عليه العالم .

---

[٦] أصدر قداسة البابا شنودة الثالث في أوائل عهده قرارًا بتشكيل لجنة بمراجعة السنكسار وأخرى لتنقيح المدائح لكن التغيير كان في أضيق الحدود .

نخلص من هذا إلي أمرين يكمل كل منهما الآخر:

١- إن دراستنا للتراث أمر ضروري مع تنقيته مما يتسرب إليه من شوائب .

٢- أن تغيير أساليب الخدمة وبرامجها ضروري لأعداد الأجيال لفكر المستقبل .

إننا نحتاج إلي إعادة صياغة فكر التراث في مفردات من لغة الغد . أما رفض أي تغيير لمجرد الرفض فهو جمود لن يؤدي إلا إلي سد القنوات بين الآباء والأبناء . إن الجمع بين الأصالة والتجديد هو دليل الوفاء للقديم عرفاناً بقيمته ، مع تأكيد الاتجاه نحو الأفضل ، فالكنيسة حية علي الدوام ، والتقليد كائن حي متحرك .

٢٨ـ أسلوب التعليم المؤثـر

يسود شعور من الأحباط لدى كثير من الخدام حين يرون أن من يتلقون تعليمهم لا يبدو عليهم تغيير حقيقي في سلوكهم ، ويكاد البعض يشعرون أنهم في وادٍ والشباب في واد آخر . ما السبب ؟! هل ما نقوله خطأ ؟ وكيف يكون خطأً وهو كلام عن الفضائل والدين والكنيسة ، أذن لابد وأن العيب هو في فهمنا ثم في تقديمنا لهذا الكلام ، بمعنى أن المشكلة تنقسم إلى : الفكر الذي ننادي به ، التطبيق الذي ندعو إليه ، والأسلوب الذي نعلم به . وسنركز كلامنا هنا على النقطة الأخيرة .

الهدف من التعليم المسيحي هو تغيير الحياة ، والحياة تتغير عندما يقتنع الإنسان بفكرة ، ثم يتحمس لهذه الفكرة ، ثم يسلك حسب الفكرة . بهذا يعدل الإنسان إتجاهاته طبقا لقناعاته . كيف يمكن أن يؤدي التعليم إلى تغيير الحياة ؟

١- تصحيح الفكر : مثال : شاب يعتقد أنه ارتكب خطايا كثيرة لا يمكن أن يغفرها له الله . يحتاج إلى توضيح وإقناع بأن الله يغفر بلا حدود ويعطي بداية جديدة في كل مرة ، مهما تعدد السقوط .

٢- شحن أو إثارة العاطفة :

مثال: شاب يرغب في التوبة ولكنه حاول مراراً وفشل ، لذا فقد الأمل في أن يتوب يوما . هذا يحتاج إلى من يساعده ليرى باب الرجاء مفتوحاً ويثق في عمل الله معه .

٣- تحريك الأرادة " الأستجابة للتعليم " :

مثال : فتاة تورطت في علاقة سيئة ، وترغب بشدة في الحياة النقية ، ولكنها لا تعلم ماذا تفعل ، ولا تعلم كيف ستغير فكرة الناس عنها. تحتاج إلى شجاعة تمكنها من تخطى الموقف إلى التفكير فيما يجب عمله ، وكيف تغلق أبواب الخطأ .

وتعالوا نلقي نظرة سريعة أولاً على مستويات التعلم :

مستوى الصّم :

الصّم هو أن يحفظ الأنسان عن ظهر قلب دون أن يفهم ما حفظه ، وهو أمر ليس مقصوراً على الأطفال كما يظن الناس ، فكم من مقولات نرددها دون فهم ، وإذا سؤلنا قلنا لمن يسألنا : هذه الأمور تؤخذ بالإيمان ! يمكن لكثيرين من الشباب أن يرددوا " نحن مختونون بالدم " دون أن يفقهوا معناها ، وبعض الذين حفظوا الطقس الكنسي ومارسوه لسنين يبتعدون عن الكنيسة بل وأحياناً عن الأيمان . ويدخل في هذا المجال بعض المصطلحات الشائعة في التعليم الكنسي ، مثل "الحياة الروحية" . الشائع أن الحياة الروحية هي الصلاة والصوم والأعتراف والتناول وقراءة الكتاب المقدس ، ولكن هل كل من يفعل هذا تكون له بالضرورة حياة روحية نشطة ؟ .. بالقطع لا !! فربما كان يمارسها ممارسة شكلية مظهرية ، فما هي الحياة الروحية أذن ؟ .. فكروا معي ! . في كتاب " المناظرات " نقرأ حواراً بين يوحنا كاسيان والقديس الأنبا موسى نخلص منه إلى أن الحياة الروحية هي السعي والجهاد الدائم نحو نقاوة القلب بمعنى أن يكون ذهني خالياً من الخوف والحسد والكبرياء والشهوة والإدانة ، وأن تكون مشاعري نقية من الكراهية والقلق والدونية . ومن البديهي أن التعليم على مستوى الصمَّ لا يمكن أن يؤدي إلى تغيير الحياة .

مستوى الفـــــهم :

سوف نقدم المعلومة إذن ونشرح معناها ، بل ولكي نتأكد أن المعلومة قد فُهمت كما ينبغي سوف نسأل المخدومين بل ومنتحنهم فيما تعلموه ، وهذا هو مستوى العمل في فصول إعداد الخدام ، وسوف نجعل الأمتحان ذكياً للتأكد من الفهم ، سنسأل الشاب عن معنى "الختان بالدم " ونقدم له عدة إجابات ليختار منها ، أحدها صحيحة وباقي الأجابات ليست بعيدة جداً عن الصواب ، مثل :

أ) الختان شريعة أساسية في الكتاب المقدس . ب) غير المختونين لا يخلصون

ج) بدون سفك دم لا تحدث مغفرة . د) دم المسيح هو علامة العهد الجديد .
ثم نطلب من المخدوم أن يختار أفضل الأجابات . وهذا المستوى هو ما نراه حين يقف الخادم ليسأل الأولاد والبنات فيما سمعوه في الدرس . ولا شك أن هذا المستوى أفضل بكثير جداً من الحفظ أو الترديد دون فهم ، وفيه إحترام لعقول الناس ولمشاعرهم ، ولكن هل يكفي أن يتعرف الناس على المعلومات الكنسية والروحية والكتابية ... هل يكفي هذا لتغيير الحياة ؟!

البعض يقولون أن مهمة الخادم هي مجرد توصيل الكلمة "وكلمة الرب لا ترد فارغة – أش ٥٥: ١١" ، ولكن من يقرأ النص كاملا يرى بوضوح أن المقصود هو الكلمة المتجسد ربنا يسوع المسيح ، ولو كان مجرد سماع الإنجيل كافٍ لتغيير حياة الناس لكان كل من سمعوا رب المجد آمنوا به ، والواقع أن الأكثرية رفضت أن تستجيب لتعليم الرب لسبب أو لآخر . لقد صنع الرب آيات عديدة أمام الآلاف وعلم عشرات الألوف، وأخيراً حين حل الروح القدس كان كل المجتمعين في العلية ١٢٠ نفساً .

مستوى الـــــربط :

يتميز التعليم الديني الأرثوذكسي بأنه يضم عدة دوائر : عقائد – طقوس – تاريخ كنسي – كتاب مقدس .. وهكذا. وهذه الدوائر مرتبطة معاً أرتباطاً وثيقاً . فالطقس مثلاً له أساس لاهوتي عقيدي، وله فاعلية روحية ، وله شواهده من الكتاب المقدس، وله أيضاً تاريخه . ولنأخذ مثالاً بطقس البخور الذي يدرس في الكنيسة ، فالبخور إشارة إلى عمل المسيح في خدمة الناس ، فكما يحترق البخور ليعطي رائحةً زكية هكذا فعل حين كرز وتألم ليعطي بركات عظيمة للبشرية ، والرائحة الطيبة تنقلنا نحن المصلين إلى أن نفكر في السماويات حيث صلوات القديسين المقبولة أمام الله ، وتدعونا أن نعمل أعمالاً صالحة تصعد أمام الرب كرائحة بخور ، وفي العهد القديم كان البخور يقدم كل صباح ومساء ، لذا يردد الأب الكاهن في دورة البخور كذا .. ويصلي قبل الخروج للتبخير كذا . أن هذا المستوى من التعليم يعطي أبعاداً جديدة للمعلومة ، ويزيد من قيمتها ، ويؤكد للمتلقي أن ما يتعلمه ليس شظايا متناثرة ، بل أجزاء من منظومة متكاملة هدفها فرحه وأنتصاره . ولكن هذا المستوى أيضاً لا يغير حياة الناس ، فحتى هنا نحن نتحدث إلى الناس باللغة

الدينية التي يرى الناس أنها منفصلة عن حياتهم ، ويتحدث الناس عن الخدام على أنهم "بتوع الكنيسة" وعلى أن ما يقال داخل الكنيسة أمر لا يمكن الألتزام به في الحياة اليومية .

مستوى الـــوعي :

لا يكفي إذن تقديم الحقائق أو التعرف عليها وشرحها ، ولا إستيعاب مكانها في النسق العقائدي والروحي للكنيسة ، فلا بديل عن ربط المعلومة بالحياة اليومية للناس ، ولا بديل عن دخول التعليم إلى عمق هموم الناس ومشاكلهم ، وما يدور حولهم في الدنيا .

لقد ألتقى السيد المسيح مع المرأة الخاطئة في بيت سمعان الفريسي . من كانت هذه المرأة ولماذا غضب الفريسي ، وهل كان محقاً في غضبه ، ماذا كان تقييم الحاضرين للمرأة ، وماذا كان تقييم السيد المسيح لها ؟ هل توجد أمور أخرى تتعارض فيها وجهة نظر المسيح مع موقف المجتمع ؟ مثل الموقف من المال ؟ والموقف من الزواج ؟ والموقف من التسامح ؟

وهنا ينتقل المخدوم إلى صياغة حقائق الأيمان بألفاظ الحياة اليومية ، وتصبح المرأة الخاطئة هي كل منبوذ يحتاج إلى القبول ، ويصبح الموقف السليم هو النظر إلى جوهر الناس وليس إلى مظهرهم أو إلى ما يشاع عنهم . أنظر شاباً سُمع عنه أنه على علاقة بفتاة غير مسيحية ، أنظر أسرة ترك أحد أفرادها الأيمان، أنظر طفلاً يشكو منه كل الخدام ، أوَ شاباً يؤكد كل المسئولين عن الخدمة أنه مشاغب متمرد !

إن تقديم التعليم بشكل مرتبط بالحياة اليومية وهمومها يشكل خطوة هامة نحو تفاعل المخدوم مع الكلمة . ولكن حتى هذا المستوى لا يغير الحياة ، لأنه في أقصى حد لا يصل بالشاب إلا إلى إبداء آراء عامة عن أحوال المجتمع والناس، ولكنه نادراً ما يعكس ما تعلمه على نفسه !!

مستوى الأختبـــار

كل مخدوم يؤمن بكلام المسيح ، كل الناس سمعوا وحفظوا آيات كثيرة ، كل الناس يعلمون تماما أن المسيح يطلب منا أن نكون نوراً للعالم وملحاً للأرض ، إسالهم كيف سيفعلون هذا ، تسمع أجابات عامة عن القدوة الصالحة وصورة المسيح وأرشاد الناس ، ولكني أسألك أنت : ما هو عملك ؟ ما هي دراستك ؟ أين تسكن ؟ كم عمرك ؟ ما هي مواهبك ؟ وماذا

ستفعل لتكون نوراً للعالم ؟ ، وصدقوني سيفكر أغلب الناس قبل الأجابة ! وأياك ياعزيزي الخادم أن تقترح له أجابة ، فالأجابة ينبغي أن تكون شخصيةً ، فالشاب يعلم أمكانياته ، وهو الذي سيحاول أن يلتزم بما يقول .إن الخادم الفاهم لا يحدث الناس عما هو مفروض أن يكون ، بل عن الحاصل فعلاً وكيف يمكن تغييره إلى الأفضل . اسالوا الناس عن مواصفات الأسرة المسيحية، ثم اسالوهم هل هذا هو الموجود فعلاً ؟ وماذا أستطيع أن أفعل في بيتي؟

أنظروا السيد المسيح وهو يتحدث مع المريض في بركة بيت حسدا ويسأله أتريد أن تبرأ ؟ وبعد أن ندرس النص نوجه السؤال إلى الشباب كلٌ يفكر فيه : لو سألك السيد المسيح : أتريد أن تبرأ ؟ ترى إلى أي شيء يشير المسيح ؟ إلى كبريائي، إلى خصوماتي، إلى خطيتي المحبوبة ؟ .. إلى ماذا ؟ هنا ينظر المخدوم إلى حياته ليقيسها على معيار الوصية المسيحية ، ويبدأ ذهنه في العمل ومشاعره في التحرك، ماذا ينبغي أن أكون وماذا يجب أن أفعل .. ، وبقي أن نؤكد على الآتي :

١- التركيز على المعنى بدلا من التركيز على المعلومة :

والخادم الحاذق هو الذي يعطي المعلومة بدقة وإيجازٍ ليقود المخدوم إلى المحتوى .

٢- أيجابية المخدوم بدلا من سلبية المخدوم :

يشارك المخدوم في إستكشاف المعنى فهذا هو مدخل التفاعل مع الموضوع .

٣-الخادم كموجه بدلاً من الخادم كواعظ مصدر للأوامر : فلا ينبغي أن يقوم الخادم بالعمل كله (يشرح، يجيب على الأسئلة، يقدم وسيلة الأيضاح، يقود الصلاة ، يقود الترتيل ، ...) ، بل يسعى إلى بلورة ما يطرحه الناس ، وكشف الثغرات ، بل ويعيد الأسئلة إلى المجموعة ويساعدها على الأجابة في حوار حقيقي حُر وليس زائفاً ، فلا يدفع المجموعة دفعاً إلى الأستنتاج الذي حدده مسبقاً .إن التعليم الفعال هو الذي يركز بيقظة وفعالية على كل الأنشطة والممارسات التي ترفع مستوى إستجابة المخدومين . ويبقى أن يتدرب الخدام على كيفية تطبيق هذا الأسلوب بشكل مستمر كما سنتناول لاحقاً .

٢٩ـ الأساس اللاهوتي للأنشـطة

هدف الخدمة هو هدف المسيح ، هو بناء الأنسان بحسب مقاصد الله . لذا كل ما نفعله في الخدمة يستند إلى أساس من التعليم الأهي لنا ، فالقداس مبني على عمل المسيح وخدمته حتى الصعود وحلول الروح القدس ، و الصلاة دائماً باسم ربنا يسوع المسيح الذي أعاد الشركة بين الله والأنسان ، فلا صلاة ولا صلة إلا من خلال الكلمة المتجسد .. وهكذا ، ولكن ما هو الأساس اللاهوتي للنشاط ؟!

يقول ربنا يسوع المسيح له المجد أنه يريد أن يصير الكل إلى واحدٍ فيه ، واحداً مع الله وواحداً مع الآخرين [يو ١٧]، ولكن كيف يمكن أن يصير الكل إلى واحد ؟ هذا تشرحه رسالة أفسس ، أن المواهب المتنوعة التي تعطي للمؤمنين تتكامل معاً كما تتكامل أعضاء الجسد الواحد ، بحيث يتناغم أعضاء الكنيسة إلى ملء قامة المسيح و جسده الذي هو الكنيسة ، وهنا يأتي دور النشاط .

إن لكل عضو موهبة مختلفة ، شيء ما أعطاه الرب السخي أن يتقنه ويتفوق فيه ، ولكن ليس لحساب نفسه ، بل لحساب الجسد كله (الكنيسة والمجتمع) ، فإذا رغب عضو في الأنفصال بموهبته يكون مثل العضو الذي ينخلع من الجسد ، يفقد الجسد عضواً ثميناً ، ويموت العضو الذي انفصل ويفقد موهبته ، لقد بارك الله ابراهيم (تك ١٢) لكي يكون بركةً للآخرين ، هذه الوزنة أعطيت مجاناً ، ولكن بشرط أن تستثمر لحساب الجسد . إن الخطأ الذي أرتكبه الرجل الذي أخذ وزنةً واحدةً أنه انعزل بوزنته ، بينما لا تنمو الموهبة إلا إذا استخدمت لصالح الناس وإلا ضاعت ، فالذي له يعطى ويزداد والذي ليس له فالذي عنده يؤخذ منه . إذن من صميم عمل الخدمة أن تساعد كل شخص على إكتشاف موهبته ، وعلى تنمية هذه الموهبة في مجال محبة وخدمة الآخرين بالعمل والحق وليس بالكلام واللسان.

هذا هو معنى الوصية " تحب قريبك كنفسك " ، أي تحب الآخرين كما تحب نفسك ينبغي أن تحب نفسك أولاً . ولكن كيف ؟ وكل تعليم المسيح يدعو إلى إنكار الذات ؟ إن الحب هنا ليس حب الأنانية المنغلق، بل تحب نفسك بمعنى أن : تقبلها، تفهمها ، تعرف عيوبها وتقومها بفعل الروح القدس .. تدرك وزناتها وتنميها في محبة القريب ، والقريب هنا

يشمل كل الناس بلا إستثناء [لو ١٠]. هذا هو دور الأنشطة، إذن من جوهر عمل الخدمة أن تساعد وأن تتيح الفرصة لكل واحد أن يقبل نفسه ، يكتشفها وينمي وزناتها في إتجاه تقديم الحب للآخر، فهذا هو طريق الخلاص .

هدف السيد المسيح إذن هو أن يصير الكل إلى واحد ، جسد واحد من أعضاءٍ متنوعة. فلا يوجد حدٌ لأشكال النشاط ، ولا حصرٌ لعدد المواهب ، فعلى قدر عدد الخدام والمخدومين توجد مواهب وأفكار جديدة ، وكلها ينبغي أن تتاح لها الفرصة للنمو في إطار الجماعة ، فهذا يؤكد الشركة بين أناس لكل منهم كيانه المستقل ، فقبل كل شيء هو عضو في الجسد يقوم بدور فريد لا يقدر غيره أن يقوم به ، وليست هذه دعوة للتعالي ، بل إن هذا العضو ذو الدور الفريد لا يتقن سوى دوره ولا يملك أن يؤدي أدوار الآخرين !! ، لهذا لابد أن يكون هدف النشاط واضحاً ...

مـــاذا نفعـــل ؟

أيا كان شكل النشاط ، المهم أن يكون هدف النشاط هو أن يكتشف وينمي وزنة ويعمق الشركة بين الناس . إن المسابقة لا تكون روحية لمجرد أنها في الإنجيل، بل عندما تدفع الناس إلى التفكير ، وإلى أن يفهموا ذواتهم ، وإلى أن يتعرفوا ويتآلفوا مع الآخرين ،.. هذه هي المسابقة أو اللعبة أو السمر الروحي . والرحلة لا تكون روحية لمجرد أنها زيارة للأديرة ، بل متى سادتها روح الود والتعاون ، قد يقول البعض ولكن كل الرحلات تتم هكذا ! لنكن صادقين مع أنفسنا ، وأن أعترف أن عنادي قد يجعلني أفسد جو الرحلة متصوراً أنني أُحافظ على روحانيتها ..!

من يفعـــل النشـــاط ؟

ما دام الهدف قد أتضح فلابد لتحقيقه من خلال النشاط أن يشترك فيه الكل ، الكل يفكر والكل يعمل والكل يساهم بدءاً من التخطيط وحتى التنفيذ والتقييم ، فالكل يجب أن يكون عضواً في الجسد ، الكل يحتاج إلى أن يفهم نفسه وغيره بشكل أفضل ، وأن يخدم الناس بشكل أفضل .

وإذ يشترك الكل ، تتعدد الأفكار و تتنوع أشكال النشاط :

+ شباب ثانوي يجمعون بقايا ورش النجارة ليصنعوا لعباً بسيطة لأطفال الحضانة .

+ الشابات يتصلن بمستشفي مجاور ويخطرن أبانا عن يحتاجه من المرضى .
+ شباب يتناوب قراءة الصحف وينشىء أرشيفاً للأخبار والمقالات التي تهم الشباب
+ فتيان إعدادي ينظمون يوما رياضيا للكبار من إعداد الطعام إلى إدارة المسابقات .
+ ليلة سبت لعازر نجتمع في الكنيسة ونقدم عرضا لأسبوع الآلام ثم نتعلم جدل السعف ونصلي ثم ننصرف بعد مشروب خفيف ، وسنكرر ذلك مساء السجدة .

ويصبح لدينا معينا لا ينضب من الأفكار : البحث – الرسم – الموسيقى – الكورال – خدمة المرضى – الفقراء – المسنين – المغتربين – وسائل الأيضاح – تصنيع اللعب – أيام روحية – أيام رياضية – أمسيات للتسبحة – زيارات ثقافية – مسابقات متنوعة في الكتاب المقدس وفي المعلومات العامة وفي المعلومات الكنسية – مجلات حائط – مجلات صوتية – مجلات مطبوعة – أيام للأسر –...) وكلما أزداد التنوع ، زادت الفرصة ليكتشف كلٌ وزنته وينميها ، فقط لنتذكر :

١– أن الأنشطة من صميم الخدمة الروحية وليست أضافة زائدة عليها .
٢– أن القيادة الفردية المتسلطة هي أقصر سبيل لهدم أي نشاط أو إضاعة هدفه .
٣– أن النشاط يتم تصميمه بعد تحديد هدفه أولاً .
٤– أن ممارسة النشاط هي الهدف الأول وليس الأنجاز المتوقع منه .

فنحن لا نفعل النشاط لمجرد أن نفعل شيئاً والسلام، أو لأن كل الكنائس تعمل أنشطة ، بل أن لنا هدفاً لكل نشاط ، نحدده أولاً ثم نفكر معا ما هو الأسلوب الشيق المبتكر الذي نصل به إلى هذا الهدف .. ومن نشاط إلى نشاط نقترب من الهدف الأسمى ..

"أن يصير الكل إلى واحـــــد "

نخسر كثيراً إذا لم نقيم خدمات ونشاطات الكنيسة ، وفيما يلي نورد نموذجاً لتقييم أنشطة اليوم الواحد مثل : رحلة – يوم روحي – يوم رياضي وأثق أن شبابنا كفيل بابتكار الأفضل :

كنيسة مارمينا العجائبي بفم الخليج

نموذج تسجيل وتقييم نشاط

حفلة / رحلة / يوم روحى

التاريخ ________ المناسبة ________

الكنائس المشتركة ________

توقيت البداية

عدد الحاضرين	فى البداية	عند الختام
شبان	____	____
شابات	____	____

ضع أمام كل فقرة مستوي ممتاز/جيد/متوسط/ضعيف

الألحان والترانيم القيادة ________
١- ________ ٣- ________
٢- ________ ٤- ________
الأختيار / القيادة / المشاركة

المواصلات المسئول ________
الوسيلة ________
الوسيلة / الالتزام بالمواعيد

البرنامج أثناء الانتقال التقديم ________
المادة ________
المادة / التقديم / المشاركة

الموضوع ________

قادة مجموعات العمل	العدد
١- ________	____
٢- ________	____
٣- ________	____
٤- ________	____
٥- ________	____

المتكلمون ________
اختيار الموضوع / أسلوب المتكلم / ديناميكية القادة / ديمقراطية القادة / جدية الحوار / المشاركة

السمر التقديم ________
المساعدون ________
اسلوب التقديم / مادة البرنامج / المشاركة

الأغابى الإعداد ________
النوعية ________
النوعية / أسلوب التقديم

الميزانية المسئول ________
الميزانية التقديرية ________ المنصرف ________
اشتراك الفرد ________ الدعم للفرد ________

التقييم العام
التعارف / ضبط التوقيت / اختيار المكان / قيادة اليوم

توقيت الختام قام بالتقييم ________

ترفق صورة من البرنامج واسماء الحاضرين

استخدم ظهر الورقة لكتابة أية ملاحظات

٣٠ـ التعليم و التربية في الكنيسة في القرن ٢١

التربية هي بناء الأنسان بمعنى غرس الأتجاهات السليمة في جيل بأكمله يدرج إلى الكنيسة ، والمقصود بالأتجاه هو فكرة يقتنع بها الأنسان أولاً ثم يتحمس لها ثانياً ، ثم يسلك على هداها أخيراً ، وليست التربية بمنطق المدارس حين جعلت التعليم قاصراً على معلومات تصب صباً في عقول الشباب فلا تتعدى ذاكرتهم ولأمد محدود ، معلومات يستذكرها الشاب غصباً وما أن ينتهي الأمتحان حتى تذهب إلى النسيان دون أن تمس فكره أو مشاعره بسوء سوى أن تغرس فيه كراهية التعليم !

إنما التربية بمعنى تفجير الطاقات التي وضعها الله في الأنسان ، حين خلقه على صورته ومثاله فميزه بالفكر الحر والإرادة المستقلة والخيال الطليق ، فتأتي مدارسنا لتقيد فكره وتفكك إرادته وتشل مخيلته ، فتلغي من الشاب كل ما ميزه الله به ولا يبقى له إلا أن يحيا كالسائمة ، يعيش ليأكل ويكسب لينفق وينظر إلى موطيء قدميه فحسب ، والكل شعاره أنا ومن بعدي الطوفان . التربية السليمة هي التي تنير الطريق أمام الفرد ليكتشف وزناته الثمينة التي وهبها له الخالق فيدرك قيمته عند الله ويدرك أيضا أن لا قيمة لوزناته بل ولا معنى لحياته أن لم يكن عضواً في جسد كبير يجمع الكل ، له ما يتفرد به حقاً ولكن في خدمة الجسد الواحد .

نحن نعيش في عصر العلم ، وحين نتبنى المنهج العلمي لا نفعل ذلك تمشياً مع العصر أو أخذاً بالموضة . لقد توصلت البشرية بعد معاناة إلى ذلك المنهج ، ولما وجد الناس أن العلم هو الذي يحل مشاكلهم ويوفر غذائهم وييسر لهم حياتهم ويشفي أمراضهم ، تمسكوا بالمنهج العلمي ولم يفرطوا فيه ولن يفرطوا .. ولقد فندنا كل الحجج الباطلة التي تفترض التعارض بين التعليم المسيحي والمنهج العلمي .

إذن يوجد منهج علمي مسيحي كنسي ..

إن أهمية التربية السليمة التي تبني الشخصية تزداد مع تراجع دور المؤسسات العتيدة مثل الأسرة والدولة والكنيسة ، فمع عجز أغلب الأسر عن توفير الحياة الميسرة لأبنائها ، ومع نقص فرص العمل المتاحة ، وانهزام الدخول المنخفضة أمام غول التضخم ، لا بديل عن الكفاح المستمر ليشق الشاب لنفسه طريقاً ويبني مكانةً توفر له تحقيق ذاته من خلال حياة

كرمية ، إن التربية السليمة هي التي تبني الشخصية المكافحة وليست المستسلمة بأي حال . وليس تآكل دور المؤسسات هو المشكلة الوحيدة ، فإن شبابنا يعيش في مجتمع يعاني من حالة من الضباب ، تيارات فكرية متلاطمة وتحولات أجتماعية بغير ضابط ، وما أيسر أن يتحول إلى موقف المتفرج اللامبالي ، أو إلى مسايرة أية موجة ما دام يفتقر إلى فكر خاص به .

أشكالية التعليم و التربية في الكنيسة :

١- إن مشكلة التربية التي تسعى إلى تفجير الطاقات وبناء الشخصية المكافحة هي أنها تؤسس على فكر حر طليق ، بينما العقيدة المسيحية مبنية على ثوابت ، وهنا الجهد المطلوب لمن يتحملون المسئولية ، كيف ينطلق الفكر دون إخلال بالثوابت الإيمانية و التي بدونها يصبح ما نبنيه مؤسساً على الرمال . وقد يخشى البعض أن حرية الفكر قد تؤدي إلى البلبلة ، ولكنني أعتقد مخلصاً أن واجبي كخادم ألا أتوقف عن التفكير ، لاؤصل مواقفي واترجم فكر المسيح إلى مواقف وحياة يومية . إن ضمان عدم الجنوح إلى أية شطحات فكرية هو أن امتحن أفكاري مع أخوتي في الكنيسة في حوار حر مفتوح في محبة دون جدل ، وأن يكون لى القانون الروحي اليومي المرتب مع الأب المختبر المستنير بالروح القدس ، وأن أشبع مجدداً من جسد الرب ودمه الأقدسين .

٢- إن التعليم الديني يُبنى على غير المنظور ، كيف نعمق هذا الأيمان اليقيني دون أن يجنح الشاب إلى التواكل والأيمان السلبي ، كيف يسعى وهو مؤمن بغير المنظور في عالم منظور ؟

٣- إن أكتشاف وتنمية الوزنات في الشخصية ، لابد وأن يؤدي حتماً إلى التعدد والتنوع ، وهو تنوع طبيعي ، ولكن كيف نرسخ هذا التعدد في أطار التكامل في الجسد الواحد ، الكنيسة جسد المسيح ، ولا يؤدي التعدد إلى التنافر والتمزق ؟ ولكن لكل مشكلة حل

ملامح أستراتيجية مقترحة معاصرة للتربية المسيحية :

* هدف الخدمة في كل عصر هو أن يعيش الناس حياة أفضل ، وهو أمر يتم من خلال تجديد الطبيعة العتيقة بواسطة الأسرار المقدسة (وخاصة المعمودية والميرون والتوبة والأفخارستيا والكهنوت)، وأعمال النسك والمحبة والخدمة من خلال ممارسات ونشاطات روحية متنوعة .

* محور البناء الداخلي للشاب هو صليب المسيح ، بمعنى أن يقبل الشاب أن يضحي بأنانيته ويهتم بالآخر وأن يقاوم أهواءه مفضلا الفرح الحقيقي النقي عن المتع الزائفة المصحوبة بالشعور بالذنب .

أولا : ملامح العصـــــر :

ما الذي استجد وفيم يختلف عصرنا هذا عن باقي العصور ؟

١- هو أولا عصر العلم بمعنى الكلمة ، أي عصر سيادة التفكير الموضوعي والمنهج العلمي التجريبي والتغير السريع في شكل الحياة ، منجزات لا يستطيع أحد أن يتجاهلها أو أن يعيش بدونها.

٢- وهو عصر الإتصال وزوال الحواجز بين أنحاء العالم بمعنى التأثير الرهيب للإعلام في صياغة أفكار الناس والتبشير بأسلوب معين للحياة والترويج للإستهلاك بغض النظر عن القيم ، وهو أيضا عصر يتمثل فيه المنظور المسكوني بقوة ، فمهما فعلت لا تستطيع أن تعزل الشاب عما يدور حوله في العالم .

٣- وهو عصر نمو الديمقراطية و إتساع الحرية بشكل غير مسبوق (من حرية المعلومات إلى حرية التجارة) ، وبالتالى تراجع المؤسسات التقليدية وتآكل سطوتها على الشاب ، مؤسسات مثل الأسرة والدولة بل والكنيسة إذا صدقنا مع أنفسنا .

ثانيا : كيف نخاطب شباب هذا العصر ؟

١- أهمية تحقيق المقولات الشائعة في التعليم الديني :

ما المقصود مثلا بالحياة الروحية ، وما معنى القامة الروحية ، وما هو معنى الخلاص ، وماذا نريد من الشاب أن يفعل عندما نحدثه عن صلاة القلب أو بذل الذات ؟ ومن البديهي أن خادماً غير مختبر أو غير متعمق لن يستطيع أن يقدم هذه المفاهيم بمعناها السليم .

٢- ضرورة تأصيل المفاهيم : بمعنى تقديم حجج منطقية راسخة لما ندعو الشباب إلى الإلتزام به حتى لو كنا نفترضه أمراً بديهياً. فمثلا ، لماذا يجب علىَّ طاعة الوالدين ؟ ولماذا

تدعوني الكنيسة إلى طاعة الدولة ؟ وما أهمية وجود طقس محدد لكل سر من أسرار الكنيسة ؟ وما هي فاعلية الأسرار في حياتي ؟ ...

٣- وضوح الفائدة التي تعود على الشاب من التمسك بمباديء المسيح :

ما هي مصلحتي في أن أرفض ربحاً يأتيني بأسلوب ملتوٍ ، أو أن أأبى نجاحاً قائماً على الغش ؟ ما هي مصلحتي في أن أرفض علاقة ممتعة دون إلتزامات أو مسئوليات ؟ ومن الغريب أن كثيرين يستنكفون هذا ويقولون : أليس عيباً أن نتبع المسيح من أجل مصلحة ما ؟ . ولا أجد عيباً في هذا فنحن لسنا أفضل من القديس بطرس حين تساءل : لقد تركنا كل شئ وتبعناك .. ؟! واذا برب المجد يطمئنه أن كل ما تركه سينال عنه مائة ضعف في هذا الدهر فضلاً عن الحياة الأبدية .

إن شبابنا حينما يتبع المسيح عن قناعة عقلية وحماس قلبي بأن في تبعية المسيح مصلحته الأكيدة والثابتة والكنز الذي لا يفنى ونبع السعادة والرضا الدائم ، يستطيع أن يقاوم إغواءات الشر وتيارات الطمع والإستهلاك الشره التي تسود العالم ، لأنه يستمد مبادئه من قناعات في داخله ، بينما نرى كثيرين يسلكون داخل الكنيسة بشكل وخارجها بشكل آخر ، لأن مواقفهم مجرد مسايرة للجو المحيط أياً كان .

٤- أهمية دراسة الواقع : واقع العالم وما يموج فيه من تيارات متنوعة ، واقع المجتمع المصري وما يعانيه من مزق فكري وتآكل في القيم ، ثم واقع الحي الذي يعيش فيه الشاب وواقع الأسرة التي ينتمي إليها وظروفها الخاصة.

٥- أهمية تحليل مواقف و إحتياجات الشباب :

نحن نخدم الناس لأننا نحبهم ، وليس لمجرد أن يرضى الله عنا ومن البديهي أن نهتم بمساعدة الشاب على إشباع إحتياجاته الإجتماعية والنفسية بل والمادية .

ثالثا : أسلوب التعليم و التربية في الكنيسة :

١- بناء شخصية مكافحة ، تواجه الصعوبات و تثابر مهما لاقت من فشل.

٢- بناء العقلية الإنتقائية الناقدة أمر أساسي لإمكان التصدي للديناصور الإعلامي، لذا أسلوب التعليم يجب أن يكون الحوار والإقتناع وتحريك الفكر.

٣- توجد أساسيات في التراث الكنسي لا يدرك الشاب قيمتها إلا بعد أن يختبرها ، مثل الصلاة والسهر والتأمل والتسبيح ، والمطلوب منا هو إبتكار وسائل تتيح للشاب إختبار هذه الوسائط الثمينة .

٤- لن يستمع أحد لما نقول إن لم يرى الشاب صلة مباشرة بين التعليم وحياته اليومية ، ونحتاج إلى أن ندرس بعمق لنستطيع أن نساعد الشاب أن يرى الفائدة المذخرة في العقائد والطقوس وأثرها الناجع على نجاحه وعلاقاته وسلامه الداخلي .

٥- توجد فائدة عظيمة في تعرف الشاب على الفنون الراقية في كل مجال ، والإلمام بمختصر منجزات الأنسان فهذا هو أساس تكوين ثقافة حقيقية وشخصية متكاملة تستوعب ما يدور حولنا في العالم والذي يؤثر فينا شئنا أم أبينا .

٦- من المهم أن يغلب على الخدمة سرعة الإيقاع والدقة والتركيز وإحترام الوقت، مع التجديد والتشويق المستمر في أساليب عرض الموضوعات لتحويل الإنتباه عن الوجبات المثيرة التي تعرض على الشاب خارج الكنيسة.

٧- من الصعب أن تنمو الخدمة دون إستخدام وسائل الإدارة العلمية من تخطيط وتنظيم وتقييم ومتابعة وتوثيق لكل ما يدور داخل الخدمة أو ما يمسها.

٨- إن الأستراتيجية المقترحة للتعليم والتربية لابد وأن تتضمن آلية للمراجعة والتصحيح المستمر ، فالحياة تتغير والناس يتغيرون من حيث أسلوب حياتهم وطريقة تفكيرهم وأولوياتهم ، فالنمو المستمر كامن في طبيعة الأنسان لا يملك أن يوقفه أو يتجاهله .... أذن لابد وأن يتواجد كيان ما للتعامل مع المتغيرات والمستجدات التي تمس الشباب بأسلوب الفعل وليس رد الفعل ، وبمنطق التحليل وليس بمنطق التبرير، لأن هذه المستجدات ستؤثر في شبابنا شئنا أم أبينا ومن المهم أن نراجع أنفسنا كخدام ، فليس من المعقول أن يكون كل شيء في الخدمة تمام التمام بينما ٩٠ ٪ من الشباب خارج الكنيسة ، فهل كل هؤلاء أشرار أم أن هناك شيئاً ما يحتاج إلى مراجعة ؟ ..

رابعا : تفرد التعليم و التربية في الكنيسة :

قد يشعر البعض أن الخدمة بهذا الشكل ستكون عبئاً ثقيلاً فوق الطاقة ، ولكننا لا يجب أن ننسى أبداً أن لدينا كل غني المسيح وقوة الروح القدس ، ولا حدود لما يستطيعه الخدام المخلصون المصلون المثابرون . إن أي منهج للتعليم خارج الكنيسة يفترض تنفيذ سياسته معتمداً على من يقومون بالتدريس والتدريب ، ويحصر عمله في إطار السلوك المكتسب ، أما في الكنيسة فهناك إمتياز يفوق الأحلام ، فلن نجد أي نظام تعليمي في العالم يحركه الروح القدس الذي يعمل في نفوس الناس ، حيث يمكن تغيير ليس المكتسب فحسب ، بل والموروث أيضا ، وحيث يمكن تنقية ليس السلوك فحسب بل والطبيعة الجوانية للشاب ، فمهما فعل الناس لا يتوافر هذا إلا في الكنيسة حيث روح الله العامل في الأسرار ووسائط النعمة .

ولكن أسلوب التعليم الحالي يغلب عليه ما يفقده التأثير المطلوب وما يؤدي به إلى عكس الأهداف التي يفترض أنه يسعى أليها ، وهو ما عرضناه قبلاً .

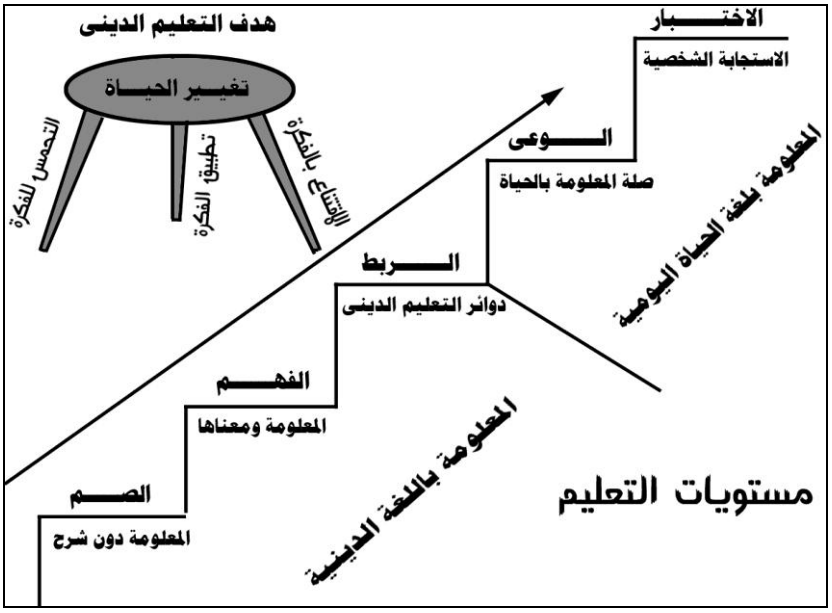

٣١ـ الفلسفة العامة للبرنامج المسيحي

المقصود بالفلسفة العامة للبرنامج ، هي الفكرة الأساسية التي ينبني عليها بكل ما يحتويه من موضوعات وأنشطة مصاحبة وأساليب تربوية ، والإتجاهات الرئيسية التي تتفرع من هذه الفكرة . هدف البرنامج هو بناء الإنسان ، الإنسان الجديد والذي يتجدد حسب صورة خالقه، وهو هدف السيد المسيح . الهدف هو تغيير الطبيعة العتيقة التي في الإنسان بسبب ابتعاده عن الله ، إلى الطبيعة الجديدة التي قصدها الخالق ، لأن المسيحية تؤمن أنه لا يمكن أن ينال الأنسان الخلاص إلا بتجديد طبيعته وهو ما يتم بواسطة الأسرار . ولكن العمل الذي يقوم به الروح القدس لا يمكن أن يتم رغماً عن الإنسان ، لذا يبني البرنامج على :

١- السيد المسيح هو المحور الأساسي للبناء.

٢- عمل الروح القدس في الأسرار والكنيسة بصفة عامة.

٣- استجابة الشاب لعمل الروح القدس عن طريق وسائط النعمة.

٤- ضرورة دراسة الواقع الذي ننطلق منه ، واقع الشاب وتكوينه وإحتياجاته ، وواقع المجتمع والعالم والعلم الذي يقدم كل يوم جديداً أفضل للإنسان.

إن هذا النمو الروحي للأنسان لا يمكن أن يتم لحساب الذات ، بل لابد للنفس المسيحية أن تنطلق البذل ، ولا سبيل أمامها للتغلب على الذاتية القاتلة إلا أن تنسى ذاتها في خضم خدمتها ، فبهذا تخلص وتخلص آخرين ، لذا لا يمكن عزل البرنامج عن العالم الذي نعيش فيه فهذا مستحيل عملياً . إن تكوين مجتمع مواز للعالم لم يكن أبدا هدفاً ، فالرب لا يريدنا أن ننعزل عن العالم ، بل أن نكون ملحاً للأرض .

الإتجاهات الرئيسية لبرامج التعليم الديني

أولا : لا تغيير إلا بعمل الله في الإنسان :

- ❖ الأسرار الكنسية : فهمها وإدراك فاعليتها وممارستها المنتظمة الواعية .
- ❖ العبادة والتسبحة والأصوام ،التعرض المتكرر للنفس والجسد لعمل روح الله .
- ❖ فهم الدورة السنوية للكنيسة ، من حيث صلواتها وألحانها ، وربطها بالحياة .

ثانيا : لا تغيير يتم رغما عن الأنسان أو بمعزل عن إرادته الحرة :

- ❖ أن يفهم الشاب نفسه، وزناتها وعيوبها ، ويدرك حتمية مواجهته للذات والأنانية

- الكتاب المقدس ، إستنارة الروح القدس في فكر الله تقود الأنسان إلى فهم نفسه .
- الخبرات النسكية لتراث الأباء العميق تقود الإنسان في طريق الحياة الروحية .
- أن المصلحة الحقيقية للشاب في اختياره للمسيح في مواجهة إغواءات الشر.

ثالثا : لا نمو ولا بناء بدون عضوية حية في الكنيسة والمجتمع:

- الأنسان كائن إجتماعي لا يسعد وحيداً ولا يرضيه مجرد إشباع رغباته وحده .
- تعاملي مع الأغيار ، يجعلني أكتشف نفسي ويساعدني على فهمها .
- لا يمكن أن تنمو وزناتي أو تستثمر دون طرحها لخدمة الناس دون تفرقة .
- مسئوليتي كمسيحي أن أكون نوراً للعالم ، ليس فقط لأنه أمر المسيح ، بل لأن ما يدور في العالم من خير أو شر ينعكس علىَّ ، شئت أم أبيت . لابد إذن أن اتابع ما يهم أهلي ووطني ، وما يحدث في العالم من حولي لأستفيد من خيره وأتصدى لشره ، بقوة المسيح.

رابعا : حتمية وجود التوجه المستقبلي في البرنامج :

- ليس للنمو في المسيح حد ، بل نسعى للنمو إلى ملء قامة المسيح .
- العالم لا يبقى على حال ، والشاب الذي تلده الكنيسة اليوم سيواجه مجتمع الغد .
- نحن نسعى للأفضل لنا وللناس ، فلا ينبغي أن نكتفي أبدا فلا حدود للأفضل .
- التراث جزء من عدتنا نجد فيه حلولاً لمشاكلنا ، وتمسكنا به لا يعني أن نتجمد عند أشكال معينة ، من هنا تأتي أهمية فرز التراث لتحديد الثوابت والمتغيرات فيه ، وأن يتأسس إتجاه تكرار هذا الفرز بصفة مستمرة .

ملاحظات عامة :

- لا توجد اولوية لبناء جانب قبل جانب آخر ، فالأنسان كائن متكامل .
- الأنسان هو هدف أي برنامج و ليس إرضاء الله (السبت لأجل الأنسان) لذا ينبغي السعي لفهم أهمية و فائدة ممارسة أي طقس والتمسك بفكرة ما يكون لأنها تحقق مصلحة الناس وليس لمجرد أنها قديمة أو متواترة .
- وصول البرنامج إلى احتياجات الشاب الفعلية و ليس ما نتصوره نحن كخدام أنه مفيد له ، فلابد من العمل الميداني المتكرر لجس الواقع الشبابي باستمرار .

- أن يؤمن البرنامج بما يقوله ، أي أن تترجم الأفكار الكبيرة و الجميلة إلى آلية يومية في البرنامج وأساليب الخدمة والأنشطة الشبابية :

١. فإذا كان التغيير لا يتم إلا بعمل الله في الإنسان ، فلابد أن يحتوي البرنامج على ما يؤدي إلى الممارسات الليتورجية بغزارة ورتابة وفهمها وربطها بالحياة .

٢. التغيير يبدأ من الواقع فلابد من دراسة وفهم الواقع على كل المستويات .

٣. وما دام الأنسان هو المخلوق على صورة الله فلابد من احترام التراث الأنساني والتمتع بمنجزاته الرفيعة من ثقافة وحضارة وفن وعلوم ، فأيا كان مصدر الأبداع فنحن نؤمن أن محرك الإبداع هو روح الله القدوس في كل زمان و مكان .

٤. وإذا كان بناء الأنسان لا يتم إلا باستجابته لعمل الله فيه ، فلابد أن ينبني البرنامج على أساس المشاركة والحوار وتوزيع الأدوار والعمل الجماعي .

٥. وما دام الأنسان مقصوداً به أن يكون نوراً للعالم ، فالعالم بالنسبة لي هو مصر أولاً ، والوطن العربي ثانياً ، والعالم على إتساعه ثالثا ، فأمر أساسي أن إستوعب مصريتي : تاريخها وآمالها ، أحلامها ومشاكلها ، همومها ومستقبلها وطموحاتها.

٦. وإذا كان رب المجد قد خاطب عصره بلغته ومصطلحاته ، بل ومن خلال أفكاره الشائعة ، فالبرنامج ينبغي أن يعيش عصر العلم بكل معطياته معمِّدا إياها ومعتمداً عليها كسبل للعمل أثبتت فاعليتها مثل : المنهج الموضوعي ، والإدارة الجيدة ، واساليب الأتصال والإعلام وتنظيم المعلومات.

المحاور الأساسية للبرنامج

السيد المسيح هو المحور الأساسي :

نعرف كل شيء عنه : خدمته على الأرض – تجسده – تعاليمه – النبوات عنه

الروح القدس هو العامل فينا :

ماهية الأسرار – طقوسها – فاعليتها الروحية – تاريخها

إستجابة و قبول الأنسان لعمل الروح :

فهم فكر الله (الإنجيل) – الصلاة و الصوم (الجهاد) – خبرة الآباء (البناء الجواني) ، فهناك خبرات لا تكتسب إلا بالممارسة : مثل الصلاة ، التسبيح ، التأمل

فهم النفس :

أمراضها - وزناتها - مشاكلها - طموحاتها – حدودها – مخاوفها - سعادتها.

مسئوليتنا هي طريقنا للخلاص :

نعرف كل شيء عن المجتمع الذي نحيا فيه ، فنحن مسئولون عنه ، ومسئولون أمامه أن نقدم نموذجا للفرح الحقيقي ، والنجاح الحقيقي ، والنصرة الحقيقية .

المهارات الضروري تنميتها من خلال التعليم الكنسي :

١- مهارة القراءة والتلخيص واستخلاص المعرفة من مصادرها متعددة .

٢- التمكن من المنهج العلمي .

٣- مهارة عرض الأفكار والحوار .

٤- مهارة العمل في فريق .

٥- مهارة التعلم كمشارك وليس كمجرد مستمع .

٦- مهارة التحليل والنقد وقبول النقد .

وعلى هذا الأساس ينبغي أن يتم تصميم كل درس من دروس التربية الكنسية في مراحلها المختلفة ، كما يجب تدريب الخدام لهذا العمل الهام والخطير .

الامكانات المطلوبة :

١- مكتبة تضم المراجع الأساسية للبحث في فروع المعرفة المسيحية والأنسانية .

٢- حواسب آلية متصلة باهم مراكز البحث والدرس ودور النشر والمعاهد المسيحية

٣- لغات أجنبية تفتح ابواب تبادل الخبرات فنحن لم نغلق على عمل الله لدينا .

٤- إدارة واعية تجيد التعامل مع الموارد البشرية والمادية .

٥- مساحات لممارسة الأنشطة في المراحل السنية المختلفة (غرف للعب وممارسة الهوايات – قاعات للبحث – ملاعب - صالات للكمبيوتر - ....)

الأنشطة المصاحبة :

- كل نشاط يساعد على تحقيق الهدف .

- كل نشاط يساعد الشاب على فهم نفسه ومن حوله والعالم الذي يعيش فيه .
- كل نشاط يقرب الناس معاً في شركة المسيح النقية .
- كل عمل محبة تجاه أي فرد من الناس على إتساع العالم هو نشاط مناسب .
- كل نشاط يقلل العبء الملقى على الفترة المحدودة للإجتماع .
- كل نشاط يساعد على تنمية القدرات المفيدة للشاب : القدرة على إتخاذ القرار – القدرة على العمل في فريق – القدرة على الملاحظة والأستنتاج – القدرة على التلخيص والتعبير عن الأفكار – القدرة على التفكير المنظم.

السجلات والتوثيق :

- سجل الخدمة: الأسماء والعناوين ، الحضور ، الأنشطة ، الموضوعات ، الإفتقاد ..
- سجل الخدام : الحضور ، تقديم الدروس ، افتقاد الخدام ، المسئوليات ..
- سجل البرامج : الأنشطة ، الدورات التدريبية ، الخطط ، التقييم ..
- سجل الأنشطة العامة : الحفلات ، الرحلات ، الأمسيات الروحية ، المؤتمرات
- سجل امناء الفروع : الحضور ، القرارات ، الموضوعات ، المتابعة ..
- سجل المكتبة : محتوياتها وحركة الإستعارة ، التزويد بالكتب والوسائل ..
- سجل الوسائل السمعية والبصرية : الأجهزة ، الأفكار الناجحة ، المصادر ..

ولا شك أن شبابنا المستنير قادر على التعديل والإضافة والتطوير المستمر .

حين ذهب السيد المسيح ليكرز في قرية للسامريين فرفضوه ، إقترح عليه إثنان من التلاميذ أن يطلب ناراً من السماء تحرق القرية ، فغضب السيد غضباً شديداً ؛ وحين لاحظ الناس أن السيد محب للخطاة ، أجابهم : أن هؤلاء يحتاجونني أكثر من غيرهم ، وهذا الرجل الذي ظل مريضاً ثمان وثلاثين عاماً ألم يكن لينتظر يوماً آخر بدلا من شفائه يوم السبت، ويتكرر السؤال : هل يحل الإبراء في السبوت ؟ مواقف لرب المجد تعجب لها الجميع ، ولكن تفسيرها سهل متى أدركنا الرؤية التي أراد الرب أن يضعها في أذهان تلاميذه ، أن إبن الأنسان قد أتى ليخدم لا ليُخدم، أتى ليطلب ويخلص نفوساً مهددة بالهلاك . أخيراً أقول لكل خادم متحمس لا يقلقك نقص الإمكانات فنحن مثلك كل غني المسيح .

كفقراء و نحن نغني كثيرين ، كأن لا شيء لنا و نحن مثلك كل شيء – ٢كو ٦: ١٠

خلاصة الباب الثالث

١- إن تحقيق تقدم ملموس في الخدمة الروحية سيتم من خلال وسائل العصر :

- البحث العلمي لإيجاد حلول المشاكل الحياتية .
- الإدارة الحديثة للخدمة والقائمة علي مبدأ تفويض المسئولية .
- التعامل السليم مع المعلومات جمعها وتبويبها واستخدامها.
- التفهم الكامل لفنون ووسائل الاتصال والإعلام.

٢- عمل الفريق هو الأسلوب الأمثل لمواجهة متطلبات الخدمة فضلاً عن توسيع القاعدة وزيادة الفاعلية .

٣- أهمية تواجد البعد الاقتصادي في تربية وإعداد الشباب لمواجهة الحياة .

٤- الثقافة الشاملة والفهم المنفتح للآخر ، تؤسس الموقف السليم في الحياة علي اتساع الوطن والعالم كله .

٥- إن الإعزاز الحقيقي للتراث يتجلي في دراسته وفهمه واستيعابه ، وتنقيته مما تسرب إليه من شوائب دخيلة ، ثم تطبيقه بأسلوب معاصر.

٦- ترجمة كل ماسبق في صورة خطط وبرامج وأنشطة بمنهج مسيحي انساني .

وها هي رحلتنا تصل إلي نهايتها، لم آت فيها بأفكار ابتدعتها ، بل قلت كل ما يتردد في نفوس وأذهان شبابنا الحائر، قلته بصوت عالٍ !.. ولا أدعي أنني علي حق في كل ما اقترحت ، بل دعوت للحوار وللتفكير بلا قيود..

ولا شك أن كثيرين قد يساورهم القلق من أننا بمناقشة هذه الأفكار قد نفتح علي أنفسنا باباً تأتي منه الريح ! ، فهل نظل مغلقين للباب الذي قد يأتي منه الريح ؟ وهل نظل ساكتين ونحن نرى شبابنا ينفضون عن خبز الحياة ؟ أم نفتح الأبواب لرياح تعصف برمال تراكمت ، حتى كادت أن تطمس معالم البناء المؤسس علي صخر الدهور ؟

عرفان وتقدير

لكل من شاركني فى التفكير وساهم معي بل وأمدني بمادة هذا العمل